المنفعة العامة من منظور إسلامي وأثرها في ظهور قوالب وطرز معمارية جديدة

د/ إبراهيم صبحي السيد غندر
قسم الآثار الإسلامية
كلية الآثار
جامعة الفيوم

ملخص البحث

يناقش هذا البحث نظرية المنفعة العامة من وجهة النظر الإسلامية كقيمة حضارية ذات أبعاد اجتماعية ودينية وفنية فلقد حضّ الدين الإسلامي من خلال القرآن والسنة النبوية المطهرة على تلك القيمة بما يتناسب مع حاجات الناس ومتطلباتهم وذلك لتحقيق أكبر قدر من الرفاهية والراحة لمختلف طوائف الجنس البشري بقطع النظر عن جنسيات أو ديانات أو فوارق اجتماعية أو طبقية ورغم عدم اختلاف مفهوم المنفعة العامة أو حتى طبيعة الخدمات المترتبة على ترسيخ مفهومها منذ العصور الوسطى وحتى العصر الحديث إلا أن لكل عصر دولة ورجال وماكان يناسب الناس في العصور القديمة أو الوسطى أصبح لايتناسب مع طبيعة احتياجاتهم ومتطلباتهم في العصر الحديث ومن الطبيعى أن تتأثر هذه الخدمات بالعديد من المؤثرات المباشرة والغير مباشرة والتي تؤدي بالتالي إلي تغير واضح ليس في مفهوم المنفعة بقدر ما يكون في شكلها وطبيعتها ومدى جودتها والغايات والأهداف التي تطمح الحكومات لتحقيقها من وراء تلك المنافع سواء على المدى القريب أو البعيد ولاشك في أن مختلف أوجه المتغيرات الدينية و السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية من أكثر مايلعب دوراً حيوياً وفاعلاً في شكل المنفعة العامة ومضمونها الحضاري سواء كانت هذه المنفعة محسوسة في شكل قوانين أو دساتير ولوائح و أعراف أو في شكل مادي ملموس كمباني معمارية متنوعة شيدت لآداء خدمات معينة وهذا هو ماسوف نتناوله في هذا البحث بالتفصيل لبيان أشكال ومضامين المنافع العامة في فترة القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

ABSTRACT

This research discusses the theory of public utility works from the standpoint of Islamic cultural values as prompted by the religion of Islam through the Quran and Sunnah in accordance with people's needs and requirements, which know naw as "public utility works" in a history and civilization target I explaine in this research many researchable topics to highlight the many aspects of the subject and how it relates closely linked to urban and architectural aspects of applying this to Cairo, in particular, as one of the most important Islamic capitals which witnessed a great renaissance with the beginning of the nineteenth century and is still followed by the services of public utility works and structures from the most prominent evidence of this renaissance

مفهوم المنفعة العمومية

المنفعة من النفع وهو ما يعود بالفائدة ويحقق للناس الراحة ومزيد الرخاء والرفاهية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر وذلك أنه إذا وجد الناس شيئًا معينًا فيه نفعًا لهم أقبلوا عليه واستخدموه فيما يفيدهم وما ينجز لهم أعمالهم أو ييسر أدائها عليهم أو يزيد من قدرتهم على أدائها بشكل سريع وفعال وإنما قصد الناس بهذه المنافع لأن الحكومات تدرك أنهم هم ثروتها البشرية التى تستعين بهم في إنجاز كل أمورها. والمنفعة ينطوى تحت مفهومها كل ما هو نافع سواء كان شيئًا محسوسًا (ماديًا)

أو غير محسوس (معنويًا) بمعنى أننا نجد أن إزكاء الروح القومية أو الوطنية في شعب أو قبيلة معينة من قبل أحد الأفراد أو الجماعات مما يساعد على اتحاد هذا الشعب أو هذه القبيلة واعتداده بنفسه وبعث معانى القوة فيه والشد من عزيمته وهذا بالتأكيد ما ينفع الناس في أوقات الحروب حين يجاهدون فى سبيل الدين أو الوطن أو الكرامة أو الحق المهضوم مثلاً وبالتالى تكون النتائج نافعة لهم وللأجيال المتعاقبة فيما بعدهم وهذا ببساطة تعريف للمنفعة الغير محسوسة أو المعنوية والتى قد يكون من نتائجها تحقيق منافع ومكاسب مادية كبيرة أيضًا من الناحية الأخرى كتلك الأشياء التى يشعر بها الشعب ويلمسها ويجدها أمامه حاضرة ومتوفرة فى أشكال متنوعة وعديدة وهذا هو مفهوم المنفعة المحسوسة أو المادية التى يدركها المرء ويراها رأى عين . وقد تكون هذه المنفعة مما يعود عليه بالتنوير والتثقيف والاطلاع واتساع المعارف وهو ما يجده فى ما ينشئ من مؤسسات تعليمية وتثقيفية وجمعيات علمية ومكتبات ومراكز إشعاع حضارى وصحافة وطباعة وزيادة ملموسة فى حركات التأليف والترجمة والنشر والتوزيع ومتاحف ومسارح ودور سينما وملاهى وغير ذَلِكَ، أيضًا قد تكون المنفعة مما يعود على المرء بحفظ صحته وصيانة بدنه من الأمراض وهو ما يجده فيما تنشئه الحكومات من مصحات للعلاج ومستشفيات وتوفير سائر المسلتزمات الطبية والدوائية ووضع المحاجر الصحية ومنع انتشار الأوبئة والطواعين وذلك عن طريق نظافة البيئة ورعاية شئونها والاهتمام بالصرف الصحى وردم المستنقعات والبرك والمعاطن والاهتمام بإنشاء الحمامات والمذابح والسلخانات ومراقبة الأسواق ومحال بيع اللحوم

والخضراوات وغير ذَلِكَ مما يتعلق بشئون الفرد الصحية والغذائية التى قد يتسبب الإهمال فيها إلى وبال على الأفراد والحكومات.

أيضًا قد تكون المنفعة مما يعود على الناس بحسن استغلال الوقت استغلالاً جيدًا وتسهيل وسائل النقل والاتصالات الداخلية والخارجية وهذا ما يمكن أن يجده الناس فى توفير تلك الوسائل المتعلقة بالمواصلات سواء البرية أو النهرية أو البحرية أو فى وسائل الاتصالات كالبرق والتليفون والتلغراف وغير ذَلِكَ من وسائل متطورة، كما قد تكون المنافع مما يعود على الناس بالخير الكثير وبزيادة المحاصيل والثمار والأشجار وهو ما يتم عن طريق توفير شبكات ممتدة من الترع والمصارف وترقية وسائل الرى وتحديثها على الدوام والاهتمام بالصرف وإنشاء السدود والخزانات واستزراع الأصناف الجديدة وتهجينها واستجلاب أصناف نباتية مستحدثة وبذل كل المحاولات من أجل استصلاح الأرض البوار وتغذيتها بالمياه إلى غير ذَلِكَ من الفوائد التى تنتفع بها طائفة المزارعين بشكل مباشر وينتفع عموم الناس أيضًا بها بشكل غير مباشر.

أيضًا قد تكون المنافع مما يعود على صحة المرء النفسية ونجد ذَلِكَ واضحًا فيما ينشئ من الحدائق الوارفة الظلال والمنتزهات الجميلة الملآنة بالأشجار والمزروعات ذات الروائح الذكية وكذلك إنشاء الملاهى والمسارح والبرك والمنتجعات وغيرذلك من الوسائل الترفيهية التى ينعكس أثرها على نفسية المواطن فيستطيع أن يواصل عمله بدأب دون كلل أو ملل وبهذه المناسبة أذكر ما قام به محمد على باشا من إبطال استزراع واستجلاب جنس الحشيش بمصر وذلك لمّا رأى من ركون الناس والعمال إلى الكسل والاسترخاء وسائت حالة المصانع وبدأ يتأثر دولاب

العمل فى بدايات توليه الحكم ، كما يمكن أن تكون المنافع أيضًا فيما يعود بالفائدة على الحالة المادية للشعب ويتمثل ذَلِكَ فيما تسنه الحكومة من قوانين لمكافحة الغلاء وارتفاع الأسعار وضبط المكاييل والموازين بالأسواق ومراقبة الوكالات التجارية والأماكن المخصصة للبيع والشراء ومراقبة الباعة المتجولين وغير ذَلِكَ من الإجراءات الأخرى كتخفيض الضرائب القائمة وعدم زيادة أو فرض ضرائب جديدة وذلك تخفيفًا عن الناس وحرصًا على تحقيق المنفعة لهم.

وقد تكون المنافع متمثلة فى شكل أقسام ونقاط للبوليس تنتشر فى سائر أنحاء القرى والمدن والبنادر وذلك من أجل حفظ الأمن والأمان وتوفير الطمأنينة بين جموع الناس على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم وأولادهم وسائر متاعهم من حقول ومواشى ومخازن وشوّن واصطابلات وغير ذَلِكَ.

أيضًا تعتبر الشئون التنظيمية أحد أهم أوجه المنافع العمومية المفيدة للناس والتى يمكن أن يراها المرء فيما تقوم به الحكومة عبر ما تقوم به هذه المؤسسة من إصلاحات تتنظيمية على مستوى المدن وضواحيها وما اشتملت عليه هذه المدن والضواحى من مبان سكنية و تجارية و دينية و خدمية وما بها أيضًا من شوارع وحارات ودروب حيث تقوم هذه المصلحة فى الأساس على تنظيم سائر هذه الأمور وذلك تيسيرًا على الناس وحفظًا وصيانة للحقوق سواء كانت حقوق الملاك أو المستأجرين أو حَتَّى السابلة من عامة الناس الذين يرتادون هذه المسالك أو يتعاملون بشكل أو بآخر مع تلك المبانى والعقارات.

أيضًا تعتبر مصلحة التطهير إحدى أهم المؤسسات الخدمية الهامة المعنية فى الأساس بتقديم الخدمة النافعة للناس حيث أنها تهتم بشكل رئيسى

بموضوع التطهير سواء فى حال ظهور الوباء أو عدمه ففى الحالة الأولى تقوم المصلحة بتطهير المراحيض ودورات المياه والمنازل والشوارع والمساجد وسائر المبانى التى يرتادها عموم الناس والمناطق التى يشتبه فى كونها بؤّر للأمراض المعدية وذلك حرصًا على عدم انتشار وتفشى الأمراض أما فى حال عدم وجود تلك الأوبئة أو الطواعين فتقوم تلك المصلحة عن طريق مندوبيها وبالتعاون مع مصلحة الصحة بالتحصين بالأمصال واللقاحات الوقائية التى تساعد فى منع حدوث الأمراض وتجنب أخطارها ودرء أضرارها عن الناس وما ذَلِكَ إلا حرصًا منها على حياة الناس ومنع تعرضهم للموت بسبب تلك الأمراض أو هذه الأوبئة.

أيضًا توجد هناك عديد من المؤسسات الأخرى التى يمكننا من خلالها استجلاء وجوه أخرى للمنافع العامة فنجد مثلاً مصلحة التنوير وهى إحدى الجهات الخدمية التى تعنى بإضاءة وتنوير الشوارع والطرق الداخلية والخارجية أيضًا توصيل الإنارة للمنازل وسائر المنشآت، أيضًا هناك مصلحة الإطفاء وهى إحدى المؤسسات الخدمية التى تعنى بإطفاء الحرائق وتدارك ودرء مضارها عن الناس حرصًا على عدم كساد التجارة أو تدهور شئون الناس من جراء هذه الحرائق ،أيضًا هناك مصلحة الموانى والمنائر وهى من تعنى بشئون الملاحة البحرية و النهرية وتقدم كافة الوسائل والمساعدات لأصحاب السفن التجارية أو سفن ومراكب الصيد أو نقل البضائع وكذلك الركاب من مختلف الجنسيات، أيضًا هناك مصلحة التشجير وهى إحدى أقسام المؤسسة التنظيمية فى البلاد وتعنى بالدرجة الأولى بموضوع النظافة والكنس والرش وتجميل العاصمة وتزيين شوارعها وهى ما يمكن أن يلاحظ المرء أعمالها لمجرد مروره فى

أحد شوارع المدينة أو ضواحيها، أيضًا هناك مصلحة الرصد والأحوال الجوية وهى إحدى الجهات التى تعنى بتقديم الخدمات للجمهور إذ من خلال بياناتها ونشراتها الجوية والمنشورات التى تصدرها والمتعلقة بأحوال الأمطار والبحار والرياح والسحب وغير ذَلِكَ من حالة الحرارة والكثافة وارتفاع المياه أو انخفاضها فى الأنهار كل ذَلِكَ مما تنتفع به كافة طبقات الناس سواء فى شئون التجارة و الزراعة و الملاحة والسفر والصيد وغير ذَلِكَ.

ويمكننا أيضًا أن نتبين عديد من أوجه المنافع العمومية في العديد من الإجراءات التى كانت تقوم بها الحكومة مثل خدمة المستهلكين والجماهير ورعاية شئون القضاء الأهلين من القتلة والمجرمين والمفسدين واللصوص ومنع السرقات ومنع الرشوة والأستبداد والعناية بالموظفين ورعاية حقوقهم الوظيفية ورعاية الفقراء وكفالة الأيتام وحفظ وصيانة الأخلاقيات والآداب العامة ومكافحة المناظر المحزنة والدجل والسكر والقضاء على المتسولين والمتشردين ومقاومة البطالة وإيجاد فرص عمل وحماية حقوق الإنسان.

أما بخصوص مسألة عمومية المنفعة أو خصوصيتها فتجدر الإشارة هنا إلى أن عموم المنفعة أو خصوصها تتفاوت نسبياً بناء على عاملين رئيسيين وهما: نوعية الأفراد أو الجماعات المخصوصين بها ثم طبيعة هذه الخدمة المقدمة وكلا العاملين مرتبطان ببعضهما ارتباطًا وثيقًا وأقصد بذلك أن الحكومة مثلاً قامت ببناء معبد لأداء شعائر دين معين كالإسلامى أوالمسيحى أواليهودى فبالتالى تكون طبيعة هذه الخدمة محددة لؤلئك الأفراد الذين سوف ينتفعون بها فإن كان المعبد مسجدًا فسنجد رواده

من المسلمين وإن كان كنيسة فسنجد رواده من المسيحيين وبالتالى فإن المنفعة أصبحت فى حد ذاتها خاصة بجماعة معينة من الناس غير أنها فى ذات الوقت عامة على جميع أفراد هذه الجماعة ، وعلى سبيل المثال أيضًا ما تقوم به الحكومة من شق ترعة معينة فى جهة معينة وذلك تسهيلاً لعملية الرى فى تلك المنطقة فنجد أن هذه الترعة أصبحت من المنافع العمومية التى تعود فائدتها خاصة على فئة المزارعين الذين يقطنون هذه الجهة وفى نفس الوقت منفعة عمومية تعود فائدتها بشكل غير مباشر على عموم الناس الذين سيأكلون من ثمار وحبوب هذه الأراضى. غير أن مصطلح المنافع العامة يعني كافة هذه المنافع التى يعود نفعها على سائر أفراد الجنس الإنسانى بشكل مباشر بصرف النظر عن النوع أو الديانة أو الجنس أو أى فروق أخرى وهذه النوعية من المنافع عندما قامت بها الحكومة لم تكن تعنى بها أفراد بعينهم ولكنها جعلتها لكافة الناس غنيهم وفقيرهم صغيرهم وكبيرهم عظيمهم وحقيرهم بل وكانت تعنى بها خدمة سائر الناس وتقديم الفائدة لهم فى شتى الصور والأشكال وذلك كالأمثلة التى ضربناها سابقاً وهى منافع الجميع فيها شركاء يستفيدون منها بشكل رئيسى ومباشر دون أى واسطة أو إذن مسبق.

نظرة تاريخية عبر العصور فى نظرية المنفعة العامة

لا شك فى أن ظاهرة وجود منافع عامة سحيق فى القدم وقد تكون منذ بدايات ظهور الإنسان ومن الشواهد التى تدلنا على ذَلِكَ خاصة فى العصر الفرعوني القديم وجود بعض القرائن الأدبية فى التراث الفرعونى تؤكد على ضرورة مراعاة الجوانب الصحية والبيئية خاصة فيما يتعلق منها بشئون النيل وعدم إلقاء الجثث النافقة فيه أو إلقاء الفضلات أو التبول وما كان ذَلِكَ إلا بدافع نحو صيانة البيئة وحماية الناس من تفشى الأمراض رغم اختلاف عقائدهم حول النيل عما هو فى العصر الحالى، أيضًا نجد العديد من الوصايا التى تؤكد على تحريم التعرض للآثار القديمة وعدم إتلافها أو التعدى عليها وذلك حفظًا لها وحماية للتراث الذى يعتبر من موجبات زينة البلاد وجمالها آنذاك، ومن الشواهد التى تدل على العناية بالنظافة كثير من التعليمات التى كانت تحس الناس على الاغتسال بالماء النظيف وغسل الأيدى والأقدام وقص الشعر والأظافر وغسل وتنظيف الملابس بصفة مستمرة وما كان ذَلِكَ إلا بدافع من الحكومة المركزية لتوجيه الناس إلى النظافة التى هى من موجبات الصحة التى لا يخفى شأن نفعها لعموم الناس على أحد .

ولم يقتصر الأمر على حضارات الشرق بل وجدناه بارزًا أيضًا بشكل رئيسى فى الحضارات الغربية خاصة في العصر الروماني الذي حرص أباطرته على ذَلِكَ النوع من المنافع فنجدهم يشيدون القناطر الخاصة بالمياه لتوفير مياه الأمطار ونقلها من مكان لآخر أو حجزها وعدم إهدارها لتيسير استغلال الناس لها أيضًا وجد من تراثهم فى هذا المجال الكبارى التى كانت تشيد بطريقة بدائية على الأنهار أو مجارى المياه ولم يقتصر

الأمر على المنافع المتعلقة بالجوانب الاقتصادية بل امتد إلى الجوانب الترفيهية فنجدهم يشيدون المسارح الضخمة ذات الشهرة العالمية والتى كان يظهر عليها المصارعون لاستعراض قوتهم الجسمانية التى تعبر عن القوة والجلد خاصة فى بعض الألعاب الرياضية مثل المصارعة تلك العروض التى كانت الجماهير تقبل عليها بأعداد غفيرة لمشاهدتها بشوق ونهم ويدلنا على ذَلِكَ المساحات الكبيرة التى كانت تخصص فى هذه المسارح للمشاهدين.

ومن ضمن الحضارات الشرقية القديمة التى شهدت منافع عامة تلك التى قامت فى اليمن فنشاهد فيها أعمال الملوك تدل على الحرص على ما ينفع الناس ومن أبرزها السدود والخزانات التى كانت تبنى لخزن المياه وحفظه من التسرب فى رمال الصحراء للانتفاع به فى مجال الزراعة خاصة وأن تلك البقاع كانت تعتمد بالدرجة الرئيسية على مياه الأمطار على مدار العام ولا تزال بعض هذه الآثار قائمة حَتَّى الآن فى بلاد اليمن كبقايا سد مأرب.

ومع بدايات ظهور الإسلام ونشأة الدولة الإسلامية لم يكن الدين الإسلامى يغفل المنافع العامة التى ربما كانت هى الأساس الذى قام عليه الدين الإسلامى حيث أن الإسلام قد أمر الإنسان بالحرص على ما ينفعه وينفع الناس أيضًا وإن المتأمل فى القرآن وسنة النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليجدهما ملآنان بكثير من الأوامر التى تستحث الناس على تقديم المنفعة المادية وكذلك المعنوية لإخوانهم ليس فى الدين فقط ولكن فى الإنسانية أيضًا وليس المجال يتسع هنا لضرب المثل من الأوامر الإلهية أو الأحاديث النبوية التى تحض على مراعاة حقوق العباد وحث

الحكام على القيام بواجبهم نحو ما ينفع الناس ويعينهم فى شتى جوانب حياتهم ولكننا نستشهد من ذَلِكَ بما قام به سيدنا عمر بن الخطاب من تخصيص نفقة من بيت مال المسلمين وذلك لليهودى الذى رآه يتسول فى شوارع المدينة وجعل لهؤلاء السائلين نصيب معلوم من بيت المال يتعاطونه شهريًا كدخل لهم يكفيهم سؤال الناس سواء كانوا من المسلمين أو غيرهم.

أيضًا فى عهد الدولة الأموية نجد الخليفة عمر بن عبد العزيز يضع أول ديوان للمساكين والفقراء الذين هم فى حاجة لمن يعينهم على أمور الدنيا ومتطلباتها وذلك أنه وجد كثير من هؤلاء الناس ضعاف لا يقدرون على الأعمال التى يتكسبون منها عيشهم وليس لهم من يعولهم فخصص لهم ديوانًا يتكفل بنفقتهم بصفة مستمرة وذلك من بيت مال الخلافة الإسلامية، كما رأينا فى ذلك العصر أيضًا من يهتم بشئون الطرق والمسالك ويقوم بوضع العلامات التى توضح المسافات على الطرق الخارجية والداخلية وذلك كأحد أوجه المنافع العمومية المتعلقة بالنقل والمواصلات كما كان هناك اهتمام بشئون البريد والشرطة وغيرها.

وقد رأينا فى العصر العباسي من يقوم بحفر الآبار لخدمة الحجاج وتيسير سفرهم للأراضى الحجازية كذلك نذكر ما قام به الخليفة هارون الرشيد والخليفة المهدى وغيرهم من القيام بمثل هذه الأعمال النافعة التى كانوا يريدون من خلالها أن تظهر الدولة الإسلامية فى أبهى صورها إضافة إلى حرصهم فى الدرجة الأولى على ما ينفع الناس ويقضى حاجاتهم لأنهم آمنوا حقًا بأن الله لم يستخلفهم فى الأرض إلا لقضاء حوائج الناس وتدبير شئونهم ولأنهم عرفوا أن "خير الناس أنفعهم

للناس".

هذا وقد كانت الشعوب الإسلامية تعنى بتخطيط المدن التى تنشأها عقب الفتوحات وكانوا يراعون فى تخطيطها القواعد الصحية من شق الشوارع وعمل الميادين والرحاب وتقسيمها إلى شوارع وسكك وحارات وأزقة وقد تضمنت قوانين تخطيط المدن هذه الخروج بالمدافن والمصانع المقلقة إلى أطراف المدينة كالحدادة ومصانع الزجاج وقماين الجير والطوب كذلك البعد بالأسواق عن مقر الحكم ودواوين الإدارة وكذلك خصصت لكل صناعة سوقًا خاصًا بها وكان المحتسب من يشرف على شئون هذه الأسواق وغيرها من شئون الشرطة والأمن ومراعاة الآداب العامة وفى مستهل القرن الرابع عشر كان من واجبات والى القاهرة القيام على تحسين المدينة وتزيينها فيأمر بعمارة ما فى الدور من خلل وبتعمير ما فيها من خراب والاهتمام بتوسعة رحابها وتعلية ساباطاتها وسقائف أسواقها ولا يمكن أحد من تضييق الطريق أو إحداث ما يضر بالمارة والنظر فى تنظيف الطرق والرحاب من الأوساخ وذلك من بيت المال.

ورأينا فى العصر الفاطمى مثل هذه الأعمال التى تدل على حرص الخلفاء وأولو الأمر على منافع الناس منها أنه لما استولى الخراب فى زمن المستنصر بالله أمر الوزير أبو محمد اليازورى ببناء جدار يستر الخرائب وكذلك أقام جدارًا آخرًا عند جامع أحمد بن طولون وفى خلافة الآمر بأحكام الله عهد إلى وزيره أبي عبد الله محمد بن فاتك بتعمير الخرائب والفضاء فيما بين باب زويلة والسيدة نفيسة فنادى فى القاهرة وأمر بأن من كانت له دار فى الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو

يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه ومن تأخر بعد ذَلِكَ فلا حق له فى شيء منه فعمرت الخرائب وأصبحت المنطقة عامرة وأصبحت القاهرة لا تتخللها خرائب ومنها أيضًا ما كان بشأن الإضاءة وذلك أنه فى سنة (383هـ/993م) أمر الخليفة العزيز بالله بإضاءة المصابيح على الدور وفى الأسواق وفى ذى الحجة سنة (391/1000م) أمر الحاكم بأمر الله أن توقد القناديل فى سائر البلد على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة فنفذت أوامره ولم تكن الإضاءة قاصرة على الدور والشوارع والحوانيت بل ألزم بها المشاة فكان كل إنسان يحمل فانوسًا يضيء له ، ومنها أيضًا ما كان بشأن الحرائق إذ شملت أوامر الإضاءة أمام الدور والحوانيت منذ عصر الدولة الفاطمية ضرورة وضع زير مملوء بالماء أمام كل دكان مخافة حدوث حريق فى مكان ما فيطفئ بسرعة ولما كثرت الحرائق فى سنة (405هـ/1014م) أمر الحاكم بأمر الله باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوءة وإزالة السقائف التى على أبواب الحوانيت والرواشن التى تظل الباعة وفى سنة (517هـ/1123م) أمر الوزير المأمون الواليين بمصر والقاهرة بإحضار رؤساء السقائيين وأخذ التعهدات عليهم باستعدادهم للحضور كلما دعت الحاجة إليهم ليلاً أو نهارًا ورتب عددًا من العتالين كى يبيتوا على باب كل معونة (مركز شرطة) مع عشرة من الفعلة ومعهم الطوارق والقرب مملوءة بالماء على أن تتكفل الحكومة بنفقاتهم ، كذلك كان الخلفاء يحرصون على الأخلاقيات والآداب العامة ومن ذَلِكَ منعهم الناس من الركوب فى الخليج ومكافحة السكر وغلق جميع قاعات الخمّارين بالقاهرة ومصر وختمها والتحذير من بيع الخمور [1]

[1] المقريزى، (1996) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة ، ج2 ، ص386.

أما العصر المملوكى والذى يعتبر العصر الذهبى فى تاريخ حضارة مصر إبان العصور الوسطى فقد شهدت البلاد فى ظله نهضة عمرانية وحضارية كبيرة شملت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والحربية والفنية والخيرية ومن أبرز الأعمال التى جرت خلال عصر هذه الدولة ونعدها من أعمال المنافع العامة ما قام به السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى من مكاحفة أصحاب العاهات ومفتعلوها ذَلِكَ أنه فى سنة (664هـ/1296م) أمر بجمعهم وإيداعهم بخان السبيل بالحسينية كما تنسب إليه أيضًا بعض الأعمال العمرانية كقناطر بيبرس التى تسمى قناطر أبى المنجا أيضًا بمناسبة مكافحة المتسولين نجد السلطان شعبان يجمع المتسولين فى سنة (771هـ/1369م) ويوزعهم على الأمراء والتجار لإعالتهم كل حسب مقدرته وثروته ومن ذَلِكَ أيضًا ما حدث من مكافحة الدجّالين فى عصر الناصر محمد بن قلاوون سنة (733هـ/1323م) إذ أمر بالقبض عليهم وتسليمهم لوالى القاهرة، وكذلك شهد ذلك العصر عديد من الأعمال الخيرية تمثل أكثرها فى إنشاء المساجد والأسبلة وأحواض سقى الدواب والبيمارستانات والأربطة التى كانت تعد دور كفالة للمرأة وكذلك قناطر المياه مثل قناطر الناصر محمد بن قلاوون وقناطر الغورى وغير ذَلِكَ مما كان يعنى به الأمراء كشق الترع وتمهيد الطرق وحفر الآبار فى طرق الحجاج والنفقة عليهم أيضًا حَتَّى يعودوا من حجهم ومن أولئك الأمير يشبك من مهدى دوادار الملك الأشرف قايتباى فإنه فى سنة (882هـ/1478) شرع فى توسعة الطرق والشوارع والأزقة وخاصة الشارع الرئيسى للقاهرة من باب الفتوح إلى باب زويلة وتبييض الدكاكين وواجهات الربوع وعهد إلى

القاضى فتح الله السوهاجى أحد نواب الشافعية بأن يحكم بهدم ما وضع فى الشوارع والأسواق بغير طريق شرعى من أبنية وسقائف ورواش ومساطب واستمرت تلك العملية إلى سنة (883هـ/ 1479م) حيث أمر بإصلاح واجهات المساجد وطلاء رخامها فحصل بذلك نفع كبير [1] وكذلك اهتم الناصر محمد أبو السعادات ابن السلطان قايتباى بتجميل شوارع القاهرة إذ أمر فى سنة (903هـ/1498م) بأن ينادى فى جميع أنحاء القاهرة بأن جميع أصحاب الحوانيت التى بأسواق يبيضّون وجوهها ويزخرفونها بالدهان ثم أمر بتبييض وجوه الرباع المطلة على الشوارع وكذلك اهتم السلطان الغورى بتمهيد الطرق وتعبيدها فألزم السكان بالقيام بهذا العمل فى سنة (909هـ/1503م) أيضًا كان من مظاهر أعمال المنافع العامة فى ذَلِكَ العصر منع التعديات والسرقات وذلك بإقامة بوابات على الحارات ذَلِكَ أنه فى سنة (864هـ/1459م) كثرت السرقات فاهتم الولاة بإقامة تلك البوابات على الحارات والدروب وعينوا لها البوابين فكانت تغلق عقب صلاة العشاء وبعضها كان يغلق عقب الغروب بقليل وقد نبهت الكتب المؤلفة فى سياسة الدول الإسلامية على ضرورة يقظة حارس الدرب وعدم السماح للغرباء بالدخول إلا بعد التحقق منهم والتحرى عنهم وأن يقوم بالتبليغ عن الحرائق والسرقات ولا يدلى بأسرار السكان لوالٍ أو لغيره. هذا ولا يخفى علينا ما كان من أمر الملاهى والأماكن الترفيهية والحدائق والمنتزهات سواء بالأزبكية أو ببركة الفيل أو بالبساتين

[1] حسن عبد الوهاب، (1955)، تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ، مجلة المجمع العلمي المصري ، العدد (37)، ص13.

الفيحاء وغير ذَلِكَ من المناظر التى كانت برسم النزهة والاستجمام ولعل من أروع الأمثلة التى نضربها كمثال على ذَلِكَ ما قام به الأتابك أزبك من ططخ من تعمير منطقة الأزبكية وجعل فيها كافة وسائل الترفيه وقد ظل ذكرها خالدًا حَتَّى الآن ولا تزال بقاياها يشير بما كانت عليه من جمال وروعة. وإن كان العصر المملوكى قد شهد صحوة كبيرة فى هذا المجال فقد كان العصر العثمانى عصر انتكاسة كبيرة جدًا وإن لم يخلو منها على الإطلاق ولكن يبدو أن كثرة الضرائب والظلم الذى لاقاه الشعب فى تلك الآونة قد غطى على أثر كل عمل من الأعمال الخيرية والتى نذكر منها على سبيل المثال المنشآت المائية المتمثلة فى الأسبلة والحمامات العديدة التى كانت تنشئ برسم تقديم خدماتها للناس وإن لم تكن بنفس كفاءة وجوده نظيرتها فى العصر المملوكى أيضًا منع أعمال الدجل والتغرير بالبسطاء من الأهالى ومن ذَلِكَ ما قام به الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة 1173هـ من ذبح العنزة التى كان يدجل بها الشيخ عبد اللطيف خادم السيدة نفيسة وتوبيخه والتشهير به بوضع جلدها على عمامته وطوافه بالقاهرة وسط الطبول والأشاير [1].

ولقد أعقب ذَلِكَ فترة بدأت تخبو فيها أعمال المنافع العامة وذلك لعدم وجود حكومات مركزية ذات قوة فقد انصبت اهتمامات الولاة فقط حول جباية الضرائب وجمع الأموال بشتى الطرق فكثرت الفتن والاضطرابات والصراعات السياسية حول سده الحكم والإمارة وانتشرت

[1] حسن عبد الوهاب، تخطيط القاهرة، ص11.

الفوضى وعدم الناس الاستقرار والأمان كما عدموا معه كثيرًا من المنافع التى من المفترض أن يسعى إليها حكام البلاد وولاة أمرها ومع نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر شهدت مصر وقائع الحملة الفرنسية وهى حلقة من حلقات الصراع السياسى بين الإمبراطورية العثمانية وخصومها من الأوربيين وذاقت مصر ويلات الحرب والدمار إبان هذه الحملة رغم بعض المميزات التى جاءت بها إذ يكفى أنها استطاعت أن تحرك قوى الشعب الكامنة نحو ضرورة خلق فرص الاستقرار والأمان الذى كان قد عدمه فيما سبق والذى من شأنه ألا يحول بين الناس وما يتمنونه من خيرهم ومنفعتهم العامة والخاصة ومع بدايات القرن التاسع عشر تبدأ حلقة جيدة من حلقات التطور الحضارى فقد حكم مصر فى هذا القرن أفراد أسرة واحدة استطاعت بقدرتها على تدبير الأمور وإحكام السيطرة على شئون البلاد أن تنشر الأمن وترسى دعائهم الاستقرار وتسعى بخطى قوية نحو إنهاض البلاد ووضعها فى مصاف التقدم والازدهار والرقى بشتى صوره وكان من أبرز المجالات التى سعت فيها الحكومة بشكل جاد وفعال هو توفير أكبر قدر من المنافع التى تعود بالخير والفائدة على عامة الناس وخاصتهم.

أسباب ظهور خدمات المنافع العمومية عبر العصور:

تعتبر الطبقة الحاكمة فى البلاد هى الأكثر قوة و بعدًا للنظر فى شئون البلاد التى تحكمها وكذلك الشعب وذلك من كافة النواحى حيث يتيح وضع هذه الطبقة لها معرفة جميع ما يتعلق بهذا البلد سواء من النواحي الزراعية أو التجارية أو الصناعية كما أنها تتعرف عن كثب على مصادر الثروات الطبيعية الموجودة فى هذه البلد كالمحاجر ومناجم الحديد والنحاس والذهب وسائر المواد التى يمكن أن تستخرج من أراضيها أيضًا الشواطئ والموانئ والبحيرات والغابات ومصايد الأسماك ومصادر الدخل القومى والعلاقات المتبادلة بينها وبين غيرها من الدول وغير ذَلِكَ.

أيضًا يستطيع الحكام أن يتعرفوا وبكل سهولة على طبيعة الشعب المحكوم من حيث أصله العرقى ونسبه وصفاته البدنية والنفسية ومزاجه ومدى قابليته للانقياد وطبيعة أفكاره واتجاهاته وآماله وطموحاته التى ينشدها ويسعى لتحقيقها وكذلك مقدار ثقافته ووطنيته ومدى انتمائه من عدمه ومدى تفاعله مع الحكومة من عدمه أيضًا قدرته على التكيّف وتقبل الأحكام والقرارات الصادرة عن الحكومة من عدمه. ولما كان الأمر كذلك فقد وجب على الحاكم أن يتأنى فى دراسة كل هذه الظروف والعوامل التى من المؤكد أن الإلمام بها ومعرفتها جيدًا والقدرة على التعامل معها سوف يكون اللبنة الأساسية فى بناء هذه الحكومة وقدرتها على الاستمرارية فى الحكم وإذا تحقق لها ذلك فقد استطاعت أن تحرز نصرًا عظيمًا فى توطيد دعائم حكمها أولاً فى تلك البلد ثم زرع بذور الثقة بينها وبين الشعب. وإن نظرة عبر التاريخ فى طبيعة الحاكم

والمحكوم فإننا نلمس وبكل بساطة أن مدى التوافق لا يصل بأى حال من الأحوال إلى درجة الكمال فى أى حين من الأحيان بل إنه يتفاوت بين الزيادة والنقصان ليس فى كل فترة تاريخية يختلف فيها الحكام ولكن أيضًا يزيد وينقص إبان فترة حاكم واحد بعينه وذلك تبعًا لعديد من العوامل التى تؤثر فى طبيعة العلاقة بين هذا الحاكم والشعب الذى يعول ومصر كأحد الشعوب التى تعاقب على حكمها عديد من أجناس الحكام فى مختلف العصور ينطبق عليها ما ذكرناه فعلى سبيل المثال وفى العصور الفرعونية السحيقة نجد أن الحكام دائمًا هم ليسوا سادة بل آلهة معبودة فقد وصل الاستخفاف بالشعب إلى حد جعل الحكام يطلبون منه أن يعبدهم وهذا ليس بنقص فى الشعب بقدر ما هو عدم إدراك أو معرفة ولكن الأمور كانت هكذا فى تلك العصور وكذلك الأفكار وسنن الحياة فالشعب يعتقد فعلاً أن الفرعون هذا هو الإله الذى يحميه ويرزقه ويعافيه ويدفع عنه أنواع الأذى والبلاء فيسارع إلى تقديسه وذلك بتقديم القرابينطوعاً أو كرهاً مما يملك من مواشى وحبوب وثمار وغيرها مما كانت تتكدس به شون المعابد الفرعونية ثم تنتهى العصور الفرعونية لتليها العصور الفارسية واليونانية الأغريقية والبطلمية الرومانية وهى عصور اختلفت فى طبيعة حكمها الذى كان أشبه بالاستعمار الدينى والسياسى والاقتصادى وأصبح الشعب فيها مجرد أدوات تمتلكها طبقات هذه العصور الحاكمة تحركها كيفما تشاء فى الاتجاه الذى تشاء وترى الشعب فيها مقهور يلاقى أشد أنواع العسف والاضطهاد والجوّر يرزح تحت نير الظلم الذى لا سبيل للتحرر منه ولو فى أبسط حقوق الشعب وهى اعتناق الدين إذ نجد فى العصور الرومانية التى كانت مصر

فيها تمثل مخزن القمح الذى يغذى روما وغيرها من الدول المسيحية نجد الحكام يفرضون على الشعب اتباع مذهب معين فى الدين دون الآخر ولما يتوفى الحاكم صاحب هذا المذهب يطلب الحاكم الجديد ترك المذهب القديم واعتاق مذهب جديد وهكذا حَتَّى تفرق الدين وأصبح شبيه بموضة يعتنقها الشعب وفقًا لهوى الحاكم. ومع نهاية هذه العصور المظلمة يجد الشعب بارقة أمل يلوح له نورها فى الأفق قادمة من شبه الجزيرة العربية مع الفاتحين العرب المسلمين الذين طهّروا مصر من دنس حكامها السابقين ورفعوا عنها العنت والإصر وجاءوهم بدين الإسلام الذى هو الأصل فى الحكم بين الحاكم والمحكوم ووجد المصريون فى الإسلام ضالتهم المنشودة فاعتنقوه عن اقتناع كامل وليس بالقوة أو بحد السيف ووجد فيه الأقباط أيضًا حقوقهم المهضومة ونالوا ما لم ينالوه من ذى قبل حَتَّى أنهم نالوا حقوقهم من الأمير نفسه وذلك بشكايته إلى الخليفة. ومع بدايات وجود الإسلام فى مصر نجد بدايات ظهور أعمال المنافع العامة هذا وإن كان ظهورها عما قبل غير منكور ولكنها كانت قليلة وكانت أسباب ظهورها تختلف إلى حد بعيد عن أسباب ظهورها فى دولة الإسلام إذ كانت تلك الأسباب تخدم وبالدرجة الأولى الحاكم وطبقته ولا تعود الفائدة على أحد سواهم حَتَّى أن أعمال المنافع هذه يمكن أن يقال عنها خاصة بالحاكم دون المحكومين الذين لم ينالوا منها أية فائدة وذلك لأن الأراضى لم تكن أراضيهم والأنهار لم تكن أنهارهم وكذا الماشية والحبوب والثمار لم تكن سوى خيرات هم حرّاس عليها حَتَّى تطلب منهم فيؤدونها وبالتالى فإن ثمة وجه من وجوه المنافع وإن كان قد وجد فقد وجد أساسًا لخدمة أغراض الحكام فقط.

أما فى ظل الإسلام ففى عدالة الخلفاء المسلمين الأوائل كفاية لبيان مدى انتفاع الشعب بحقوقه ومدى استفادته من أعمال المنافع والعمران التى كان يحرص عليها الخلفاء والولاة والعمال ولقد كان من أهم الأسباب التى دفعت بهؤلاء الحكام إلى تقديم هذا النوع من الخدمات للشعب هو نفعه وتمكينه من حسن استغلال موارد البلاد ولأن هذه الطبقة الحاكمة لم تكن تطمع فى أكثر من إصلاح أحوال البلاد والعباد فقد كانت الأعمال النفعية تؤتى ثمارها سريعًا لأنها تخلو من الأغراض ويقصد بها المحوم لا الحكام ولقد ظل نفع الشعب هو الهدف الرئيسى والسبب المباشر من وراء تقديم تلك الأعمال والخدمات ولكن أغراض الحكام هى التى تغيرت حيث أصبح يقصد بتلك الأعمال أهداف أخرى اختلفت باختلاف ظروف العصر ومتغيراته السياسية والاقتصادية فتلك منشأة تبنى مثلاً لتيسير عمليات التبادل النقدى لفئة من الأجانب الموجودين بمصر فى فترة من الفترات وهى فى ذات الوقت وفى الأصل مؤسسة مصرفية لخدمة أبناء الشعب وسائر فئاته وطبقاته ، وذلك متنزه جميل تزدان به منطقة وسط العاصمة مثلاً وذلك بمناسبة زيارة من قبل أحد الملوك أو الملكات الغربيين للقاهرة بمناسبة حدث معين يجرى حدوثه وهى فى ذات الوقت متنفس للشعب للتنزه والتريّض فى أوقات الفراغ. وبالقياس على ذَلِكَ نجد أن سائر أعمال الخدمات العمومية والمنافع كانت هكذا وإن كانت هناك خدمات ترى فى ظاهرها خالصة لاستفادة أبناء الشعب منها كحفر الترع أو إنشاء أسبلة المياه والسواقى والآبار أو دور العبادة أو فرق إطفاء الحرائق أو المطابع فهى فى نفس الوقت تخدم أغراض أخرى عديدة وهذا لا ينتفى معه كون

الجماهير هى المستفيد الأول والأخير منها دون سواه بمعنى أن الفائدة قد تكون بصورة مباشرة أو غير مباشرة المهم أنها جعلت من أجل تحقيق المنفعة للشعب. ومن ذَلِكَ نستنتج أن الأسباب التى أدت إلى ظهور هذا النوع من الخدمات قد تعددت وتنوعت فمنها ما كان بهدف استرضاء الشعب ومنها ما كان بهدف إبراز مجهودات الحكومة فى هذا المجال ومنها ما كان بهدف إضفاء نوع من الشرعية عليها وتثبيت حكمها ومنها ما كان يتم وضعه تحت ضغط الجماهير وحاجتهم الملحة لهذه الخدمة التى تضطر الحكومة إلى استحداثها ومنها ما كان خالصًا ناتجًا عن اضطلاع الحكومة بواجباتها المنوطة بها والتى تعتبر منافع الناس من أولى أولوياتها الواجب أدائها.

رد فعل المجتمع نحو هذا النوع من الخدمات ومدى تفاعله معها:

تعتبر الفائدة أو الوظيفة الفعلية من المبنى موجودة أساسًا بل هى تتواجد قبل المبنى نفسه وربما هى السبب الأصلى والحقيقى فى تواجده وفى تبرير ظهوره وهى الغرض الغالب عليه وهى المصدر الرئيسى فى التأثير على التصميم واتخاذ المبنى الشكل الذى هو عليه.والوظيفة هى المختبر الحقيقى الذى يقاس به مدى صحة التصميم وللعقل والمنطق المقام الأول فى الحكم والتقدير فكلما ازداد المبنى كفاءة وملائمة لأغراضه ارتفعت قيمته وازداد قدرة والإعجاب به وبجماله واكتسب مغزى وصحة وشرعية أما إذا كان فى تشكيل بعض أجزاءه أو فى تصميمه كله ما يتعارض مع الاستعمال أو ما هو موجود لغير سبب حقيقى واضح فإن التقدير والقيمة بالتالى تقل وإذا أثبت أنه لا يخدم أغراضًا نافعة على الإطلاق يصبح غير ذات قيمة ولا استحق التقدير والإعجاب، كما يعتبر وجود العنصر غير الضرورى قبيحًا لأنه غير منطقى وإن ظهر المبنى على غير حقيقته فهو قبيح لأنه متظاهر وخدّاع ويضر بالحقيقة فالمعقول والمنطقى أن يبدو الشىء على حقيقته وأن تكون حقيقته مثل ما يبدو من شكله وأن يدل شكله على وظائفه وأن تكون وظائفه السبب فى اتخاذه شكله الذى هو عليه كما يمكننا أن نستدل على الوظيفة من الشكل أو من الشكل على طبيعة الوظيفة [1] ويتطلب

[1] يقول المثال دوران : أن القبيح فى الفن هو المزيف والمصطنع وما يحاول أن يكون جذابًا بدلاً من معبرًا مما هو هوائى وما يتسم بدون دافع وكل ما يتصنع أشياء لا معنى لها باختصار كل ما يكذب هو القبيح فى الفن والصدق فى العمل الفنى يتكون من الملائمة والتمشى مع الوسائل واستيفاء الغرض النهائى أى أن يكون منطقيًا ومعقولاً وتكاد هذه المقاييس أن تكون آدمية أخلاقية ولكن العمل الفنى له قواعده وقيمه. المرجع : د.عرفان سامى،(1979) نظريات العمارة الوظيفية، دار نافع للطباعة، (القاهرة)، ص18.

الإعجاب والتقدير بالعمارة قدرة مستعملها على أن يستطيع التعرف على وظائف المبنى وتقدير ما إذا كان المبنى قد نجح فى تحقيق هذه الأهداف التى تطلب منه أم لا ولنلاحظ مرة أخرى اختلاف التقدير والإعجاب بالمبنى عن الرضى من استعماله الفعلى والاختبار العملى للتأكد من الصلاحية والكفاءة ومقدرة المبنى على القيام بوظائفه.وتجدر الإشارة إلى أن الاستعمال إحساس مادى أما التقدير فعملية فكرية وتأتى من التأمل والتعرف على أن المبنى يستطيع أن يؤدى وظائفه وأن يحقق المطلوب منه أو لا.

ومعلوم أن المبنى الواحد يؤدى وظائف متعددة وقد تتعارض ويصعب استيفاؤها على اكمل وجه ولذلك كلما اقترب المبنى من الكمال ازداد الإعجاب به نتيجة قدرة المصمم على تطويع كل العوامل والمؤثرات وبذل كثير من البراعة لحل هذه المشكلات والتوفيق بينها ثم للمنتفع بالمبنى أو مستعمله الحكم النهائى فى القدرة على تخطى كل المشكلات أو عدمه. ومع ذَلِكَ فإننا نلاحظ أن الفرد هو العنصر الأساسى فى الحكم على هذه الأعمال ولا نقصد بالفرد أحدًا بعينه ولكننا نقصد به سائر الأفراد الذين يشكلون المجتمع بل وسائر المجتمعات التى تشكل جمهور الشعب وعامة الناس وخاصتهم أولئك الذين سوف يتعاملون مع هذه المبانى ومن خلال احتكاكهم المباشر بها فسوف تظهر مدى قدرة وفعالية هذه المبانى على القيام بوظائفها من عدمه كما سيظهر أيضًا فى ذات الوقت مدى توافق الجمهور مع هذا المبنى وقبوله ورضاه عنه أو عدمه وبذلك نجد أن رد فعل المجتمع نحو تلك المبانى خاصة الخدمية منها

عامل مهم جداً لابد من وضعه فى حسبان جميع من يقومون على أمر هذه المبانى التى تظهر فى الوجود سواء كان الحاكم الذى يأمر ببنائها أو المصمم الذى يخططها أو الإنشائى الذى ينفذها أو المعمارى أو المزخرف أو باقى العمال الذين يقومون بتنفيذ هذا المبنى وهنا نقطة مهمة لابد من الحديث عنها وهى مستوى الشعب الفكرى ومدى حسه الفنى ودرجة التذوق الجمالى لديه وذلك موضوع جوهرى إذ أن رفض أو قبول المبنى متوقف فى الدرجة الأولى على هذه العوامل واستخدامها لشكل واضح فى جميع المبانى الخدمية ولو دققنا النظر لوجدنا عدد من هذه العوامل غير مستعمل ولكن لضرورة هذه المبانى وحاجة الناس إليها فإنها تستعملها رغماً عنها ورغم ما يظهر فى هذه المبانى من عيوب سواء من جهة عدم موافقة شكلها المعمارى لوظيفتها أو من ناحية عدم تناسق عناصرها المعمارية والزخرفية مع طبيعة العصر والظروف الاجتماعية وبذلك نجد أن الإقبال عليها أيضًا يتأثر إلى حد ما ولنضرب مثالاً بسيطًا بحديقة معينة تقوم نظارة الإشغال العمومية بإنشائها وسط المبانى والسكان وضجيج السيارات وأبخرة المصانع وأصوات الورش والمحلات التجارية وحديقة أخرى تنشئها على أطراف المدينة مشرفة على بركة مياه كبيرة تنتشر حولها الزراعات الخضراء والهواء النقى والمناظر الطبيعية فبالتأكيد سوف نجد أن الثانية هى ما سوف يقبل عليها الناس وذلك لشدة حاجتهم للظروف التى تحيط بهذا المنتزه ورغبتهم فى الخلاص من عوامل الضجيج والصخب المحيطة بهم فى وسط المدينة ولنضرب مثالاً آخرًا بخدمة معينة كشريط للسكة الحديد تنشئه نظارة

المواصلات مثلاً فى جبل المقطم وذلك مروراً بالمحاجر والمناجم التى هناك وذلك لنقل الركاب من السيدة زينب ومصر القديمة إلى منطقة القلعة والعباسية وبالتأكيد فإن ذَلِكَ عمل غير سليم فذلك الشريط يجب أن تكون أهدافه فقط صناعية وذلك لجلب الأحجار أو المعادن أو لخدمة نوع من العمال الذين تنقلهم الحكومة لأماكن أعمالهم بتلك المناطق وليس لنقل الركاب العاديين فنجد إذاً أن نسبة الإقبال على هذا الخط من الركاب سوف تقل باستمرار حتى تنعدم خاصة وأن فى ذَلِكَ ضياع لوقتهم ومشقة عليهم وإسراف فى أجر النقل والوقود أيضًا ونجدهم بالتالى يفضلون خط ترام مثلاً متجه من فم الخليج إلى القلعة عن طريق السيدة زينب مروراً بشارع رئيسى معين .وهكذا نجد أن رد فعل المجتمع مع أعمال المنافع العامة يمكن تقديره على أساس عدة عوامل رئيسية يأتى على رأسها توفير الوقت والجهد والنفقات ومقدرة هذه الأعمال على الوفاء بمتطلبات الجماهير .ولنضرب مثلاً آخراً بالتعليم مثلاً فى العصر الحاضر فلو وجدت مدرستان أحداهما متخصصة فى علوم معينة مطلوبة فى سوق العمل وأن خريجوا هذه المدرسة سوف تتاح لهم فرص عمل بعد تخرجهم فيها وهذه المدرسة بمصروفات وعلى النقيض هناك مدرسة أخرى وضعت كأحد أعمال المنافع العامة مجانية متخصصة فى علوم معينة بيد أن خريجوها لا يجدون فرصًا للعمل بعد التخرج فيها فسوف نجد بالطبع أن الناس سوف تقبل على المدرسة الأولى رغم مجانية الثانية ورغم عوامل أخرى كثيرة قد تعتبر مميزات فى المدرسة الثانية دونًا عن المدرسة الأولى فلربما تكون قريبة من العمران

وتتيح لطلابها وسائل نقل وتصرف لهم مرتبات ويقوم بالتدريس فيها أساتذة متخصصون ولكن المجتمع ينظر إلى الهدف الذى ستنتهى إليه الدراسة فلو كان الهدف هو مجرد تحصيل ثقافة أو علم معين فى حد ذاته فإنه يقبل على المدرسة الثانية وأما أن كان الهدف هو تطبيق العلم فى سوق العمل والقدرة على العمل والقضاء على البطالة فسوف يقبل على المدرسة الأولى وقد يتوافر أحد هذين الهدفين فى المجتمع فى فترة معينة وقد ينعدم وربما يوجد الهدفان معًا فى ذات الوقت وقد ينعدمان هكذا نجد أن حاجات المجتمع تتفاوت وتختلف من فترة لأخرى ويجب أن تتوافق معها بالتالى أعمال المنافع العامة التى تضعها الحكومات لخدمة الناس وتوفير أكبر قدر من الرفاهية لهم ومن ثم فقد كان لزامًا فى البداية النظر فى المجتمع وبيئته وطموحاته وأهدافه وقدراته وإمكانياته وسائر أحواله وذلك قبل تقرير شكل الخدمة ومضمونها وأهدافها المرجوّة من وراء وضعها.

ومن الملاحظ فى القرن التاسع عشر أن كل أعمال المنافع العامة كانت مدروسة جيدًا قبل وضعها وإنشاء المبانى الخاصة بها والدليل على ذَلِكَ أنها لم توجد أصلاً إلا بعد أن برزت الحاجة لأهميتها بشكل ملح ومطلوب لدى جميع الجماهير والناس كوسائل النقل والمواصلات ولقد تفاعل المجتمع مع الجهود التى كانت تبذلها الحكومة من أجل ذَلِكَ وأبرز الأدلة على ذَلِكَ هو أن الحكومة كانت تقتطع من أراضى الجماهير أجزاء معينة لخدمة هذه المشروعات ، وكثير من هذه الأراضى أو البيوت والمحلات كانت الأهالى تمنحها للحكومة والبعض الآخر

كانت تشتريه الحكومة منهم وقد وضعت لذلك لائحة تنظيمية [1] تبين مدى حرص الحكومة على عدم أخذ حقوق الناس وممتلكاتهم بالباطل ومنع التعدى على الآثار والعمائر الدينية أو العمائر الخاصة بالمنافع العامة السابقة . أيضًا بتضح لنا فى كم الإجراءات التى تفرضها الحكومة مدى حرصها على إعطاء الثمن كاملاً لصاحبه وذلك بتقديره من قبل عديد من رجال الشرع والقضاء والمساحة المتخصصين فى ذَلِكَ كى لا يتضرر أحد من تلك الإجراءات على الرغم من أن تلك الأعمال فى الأصل هى لخدمتهم بالدرجة الأولى.

[1] أمين سامى، (1936)، تقويم النيل، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة) ج3 مج2، ص933 - 934.

أعمال المنافع العمومية كمضمون حضارى أصيل ومتطور

وهكذا فإن أعمال المنافع العامة تعتبر أحد أهم المعايير التى يمكن من خلالها الحكم على مدى التقدم الحضارى والعمرانى فى بلد ما أو عاصمة من العواصم ذَلِكَ أن ظهور هذه الأعمال الانتفاعية يكون أولاً بسبب الزيادة فى نسب السكان وتقدم فكرهم واتساع ثقافتهم ومعلوم أن النمو السكانى لا يحدث إلا مع وجود الرعاية الطبية المتكاملة التى تمنع كثرة الوفيات وتزيد من نسبة المواليد وهكذا فإننا نجد أن النمو السكانى يعتبر مظهر من المظاهر الحضارية كما أن حركات التنوير التى حدثت فى مقتبل القرن التاسع عشر والتى كان على رأسها الحملة الفرنسية التى استطاع الشعب من خلالها أن ينفض عن كاهله كثير من الهموم والآلام التى ظل يرزخ تحت نيرها زمنًا طويلاً ليستفيق من ثباته العميق فتحدث له النهضة الفكرية التى جعلته يطالب بحقوقه والتى كان من أولها حريته فى اختيار الحاكم الذى يتولى شئون البلاد ذَلِكَ الحاكم الذى استشعر فى ذات الوقت مدى رغبة الشعب فيه فأراد أن يسدى لهم أول خدمة من خدماته فألغى عنهم بعض الضرائب التى كانت مفروضة عليهم من قبل الدولة العثمانية عن طريق ولاتها فى مصر فبدأ الشعب يستنير ويطلب المزيد وليس هذا بعيب مادام يطالب بحقوقه المشروعة والتى كانت مهضومة كحرية التفكير وإبداء الرأى أو التعبير عن همومه التى تجيش فى صدره على الرغم من أنه كثيرًا ما أدى الواجبات التى ناء فى النهاية بحملها فسقط صريعًا تفترسه الأمراض والأوبئة وتعوزه الحاجات كلها دون أن يدرك منها شىء . ونريد هنا أن نؤكد على مدى الارتباط بين العمارة والحضارة فمتى وجدت العمارة علمت أن هناك

حضارة وذلك بغض النظر عن هذه الحضارة سواء كانت ديكتاتورية أو ديمقراطية أو رأسمالية أو أى نوع أخر وإن الناظر إلى القاهرة فى القرن التاسع عشر وإلى عماراتها يجد أن هناك عددًا كبيرًا جدًا من العمائر قد وضعت بهدف المنافع العامة وذلك كأحد أهم مقومات تلك الحضارة وليس ذَلِكَ إلا لأن حضارة هذا القرن كانت تمثل حضارة العصر الحديث أو قل إن شئت حضارة التحديث. ذَلِكَ أن محمد على باشا وبقية أفراد أسرته من أبنائه وأحفاده قد أخذوا على عاتقهم أمر تحديث مصر وإيجاد دولة جديدة يكون شأنها شأن الدول الأوربية التى كانت تتقدم فى ذَلِكَ الوقت بشكل سريع وقد بذل هؤلاء الرعيل من الحكام العظماء كل جهدهم من أجل تحقيق ضالتهم المنشودة فى بلدهم مصر حَتَّى أن البعض منهم قد أثقل كاهل البلاد بجبال من الديون حَتَّى يتحقق له ما كان يطمح إليه وينهض بالبلاد وحسبه أنه حاول أن ينهض ونهض بالفعل بها ولا تزال آثار هذا العاهل الكبير إسماعيل باشا خالدة حَتَّى الآن تشهد على عظمة بانيها وإخلاصه ووفائه لمصر وعزمه الذى لم ينثنى أبدًا عن حبه لها حَتَّى أنه قبل أن يموت بتركيا أوصى بأن يوسد بها دفينا فضمته مقبرة بجامع الرفاعى بالقاهرة. ونريد هنا أن نؤكد أيضاً على أن كل هذه الشواهد الحضارية إنما كانت بهدف خدمة الشعب وإظهار مصر فى أروع صورة كما وأن عمائر المنفعة العامة كانت من أبرز هذه الشواهد الحضارية ذَلِكَ بأن دورها لم يكن يقتصر على الأغنياء أو الأجانب أو الوافدين والزوار بل كان أثرها يعم الجميع فكانت من أهم وأبرز العناصر الحضارية التى بيّنت مقدار ما بلغته حضارة التحديث بالقاهرة فى العصر الحديث إبان القرن التاسع عشر.

أعمال المنافع العمومية كشكل معمارى متجدد

تعتبر العمارة مجال لنشاط الإنسان فى البناء يطبق فيها ما تتوصل إليه علوم وفنون أخرى ولا تقام المبانى أصلاً إلا لوجود غرض عملى تخدمه وفائدة انتفاعية تؤخذ منها ولذلك فالعمارة فن تطبيقى تؤدى فى ذات الوقت غرض الجمال والانتفاع وهى فى ذَلِكَ لا تختلف عن بقية الفنون التطبيقية الأخرى كصناعات الآثاث والخزف والمعادن والنسيج والطباعة إلا أن العمارة تمثل قيمًا مادية ومعنوية وكبر وضخامة وبقاء على مر الزمن وخدمات نبيلة تؤديها ويرفع كل هذا من قيمتها وأهميتها حَتَّى أنها على عكس الفنون الأخرى لا تقيدها الأغراض الانتفاعية. والعمارة ذات الفائدة الانتفاعية تتأثر فى شكلها بثلاثة عوامل رئيسية هى: المادة المصنوعة منها تلك العمارة ثم الأدوات والأساليب المتبعة فى تشغيل هذ المادة ثم الوظيفة أو مجموعة الوظائف المطلوبة منها والتى هى السبب فى تواجدها أصلاً وإلى جانب ذَلِكَ تتأثر العمارة بعوامل أخرى كثيرة وغير مباشرة وخارجية .ومن أهم الشروط التى يجب أن تتوافر بالمبنى وبمعنى آخر الوظائف التى يجب أن يؤديها هى: المنفعة: وتظهر هذه المنفعة بشكل رئيسى فى المسقط الأفقى وتتطلب أن يكون المبنى ملائمًا لزمانه ومكانه واحتياجاته الداخلية ثم المتانة: وتظهر هذه المتانة فى المواد التى تنشئ منها البناية وطريقة الإنشاء وأساليب التكوين سواء كان تكوينًا معماريًا أو زخرفيًا ثم الجمال: وهى اللذة الفنية التى يستشعرها الناظر فى التعرف على وظائف المبنى ومدى ملائمته لها وتحقيقه لأغراضه، وتعتبر هذه العوامل الثلاثة هى أكثر العوامل التى تلعب دورًا حيويًا فى عمائر المنفعة العامة من ناحية

تجددها دائمًا رغم مرور الزمن خاصة إذا قارناها مثلاً بالعمائر السكنية أو بالعمائر الحربية أو بأى نوعية أخرى من العمائر فتلك النوعيات من العمائر قد استخدت من قبل منشؤها لفترة حياتهم ثم استخدمها ورثتهم ثم ظلت مستخدمة لحين من الدهر وبعد ذَلِكَ يصير أمرها إما أن تصبح تحفة ينظرها المشاهدون ويعجب بها الفنانون أو إما أن تصبح خرابًا عرضة للنهب أو التعديات والإتلاف أما عمائر المنافع العامة فإنها تظل خالدة على مر القرون والأزمان تؤدى خدماتها للناس حَتَّى تتغير حاجات الناس أنفسهم ويستغنون عن تلك العمائر من تلقاء أنفسهم تبعًا لتغير ظروف مجتمعاتهم وبيئاتهم التى يعيشون فيها ومن أمثلة ذَلِكَ الأسبلة وأحواض سقى الدواب فالمنشئتان كانتا من أهم أعمال المنافع العامة التى يحتاج إليها كل الناس فى العصور الوسطى فالأولى لسقياهم والثانية لسقيا أنعامهم ودوابهم ولكن لما حدث أن وصلت المياه إلى المنازل وتغيرت أوضاع الخليج والصهاريج والبرك تحول الناس عن تلك المنشآت، ولكن إذا نظرنا إلى منشأة كمحطة السكة الحديد أو كمستشفى أو كمكتب للبريد أو الهاتف أو كمدرسة فإننا نجد الحاجة إليه قائمة ولا تزال موجودة ما وجدت رغبة الناس فيها واحتاجوا إليها وكل هذه الخدمات وإن كانت قد ظهرت منذ بدايات القرن التاسع عشر وربما قبل ذَلِكَ بقليل إلا أن حالها لم يزل كما هو عليه حيث أنها متجددة على الدوام والتجيد لم يكن يقتصر على نوعية الخدمات فى حد ذاتها من جهة التحسين أو زيادة الكفاءة أو التعديل أو التهسيل أو خفض التكاليف ولكن أيضًا بتجديد الأشكال المعمارية سواء بالإضافة أو الحذف أو التجديد أو الصيانة والترميم وذلك وفقًا لما تتطلبه ظروف العصر

ومقتضيات هذه الخدمة المقدمة من تلك المنشأة فمحطة للترام الذى كانت تجره المواشى مثلاً فى بدايات النصف الأول من القرن التاسع عشر ليست كمحطة للترام الذى يسير بالديزل أو بالكهرباء أو بالغاز وبالقياس على ذَلِكَ المستشفيات والمدارس والحدائق والمتنزهات والكبارى والميادين وغير ذَلِكَ من سائر الخدمات المتعلقة بالمنفعة العامة التى كانت ولا تزال دائمًا خاضعة للتجديد والتطوير بما يتوافق وطبيعة العصر الموجودة فيه من أجل ذَلِكَ كانت أعمال المنفعة العامة باقية ما بقيت حاجة الناس إليها وما بقيت تحقق لهم المنفعة عن طريق القائمون على أمر إدارتها .وعلى الرغم من أن الأشكال المعمارية كانت تختلف بحسب اختلاف ميول الحكام واتجاهاتهم الفكرية الثقافية الفنية أو السياسية أو طبائعهم النفسية إلا أن ذَلِكَ لم يكن ذا تأثير سلبي في استمرارية آداء منشآت النفع العام خدماتها إلى الناس على مر الزمن.

القوالب المعمارية والطرز الفنية الجديدة

لم تكن القوالب المعمارية التي ظهرت حديثاً - منذ بدايات القرن التاسع عشر وما تلاه - تختلف كثيراً عن التي ظهرت سابقاً في العصور الوسطى سواء في الغرض الوظيفي لها أو في طبيعة الخدمة التي تؤديها بقدر ما كان الاختلاف ظاهراً في الأشكال المعمارية الجديدة والتطور الملحوظ في مستوى الخدمة التي يتم آدائها فمن المعروف أن القرن التاسع عشر وما تلاه قد شهد نموًا للتيارات الأوربية بجميع أشكالها وقد تجسدت هذه التيارات في مختلف جوانب الحياة وعلى رأسها الجوانب الفنية خاصة مجال العمارة الذي نحن بصدده الأن ولقد ظهرت على العمارة المصرية منذ بدايات القرن التاسع عشر مجموعة من الطرز

المتباينة التي مزجت بين المحلية والعالمية وهذه الطرز وإن كانت في حد ذاتها قد شكلت بعض مميزات معمارية أو زخرفية ميزت هذه العمائر إلا إنها في ذات الوقت قد بينت اتجاهات العمارة في هذا القرن وكان من أشهر تلك الطرز التي بدت واضحة على عمائر المنافع العامية مايلي :

أولاً: الطراز الإسلامي المستحدث:

عندما قضى العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول على دولة المماليك عام 1517م فقدت مصر أستقلالها وانحدرت وتدهورت أحوالها في الوقت الذي تقدمت فيه أ وربا بعدما تخلفت كثيرًا ولقد انعكس ذلك على أحوال العمارة في مصر فتحولت عن أصولها وتوقف نموها وضعفت كما غزتها بعض التفاصيل العثمانية الوافدة من تركيا وعلى الرغم من هذا الاضمحلال والتقلص الذي أصابها كأحد نتائج الضعف الاقتصادي إلا إنها ظلت محتفظة بطابعها الإسلامي المحلي وذلك في مختلف تفاصيلها والشواهد على ذلك تتمثل في مجموعة كبيرة من الآثار المصرية العثمانية التي شهدتها القاهرة وسائر الأقاليم والتى شهدت كلها على الطراز الإسلامي الأصيل شكلاً ومضمونًا.

هذا وقد شاع استخدام الطراز الإسلامي نتيجة لظهور اتجاه آخر للحركة الوطنية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين وهو تأكيد أهمية مصر العربية واعتبارها جزء من العالم العربي الإسلامي [1] فاتجه المعماريون تبعًا لهذا نحو الطراز الإسلامي يقلدونه بمواد وإنشاءات عصرهم ويستخدمون عناصره الشكلية كالعقود والقباب والزخارف العربية والمقرنصات والأفاريز والصدور والشرافات والمصبعات بطريقة

[1] عصام الدين عبدالرؤوف: اتجاهات العمارة المصرية من التراث إلى المعاصرة ، ص164 رسالة دكتوراه – جامعة أسيوط سنة 1976م.

مصطنعة مما جعل العمارة تتحول إلى إدعاء فكل شيء فيها مطبق من الخارج و لا ينمو من الداخل وليس له صلة بالعصر ولا بظروف الحياة وقد ظهر الطراز الإسلامي المستحدث في عديد من منشآت المنافع العامة نذكر منها محطة مصر الثانية للسكك الحديدية [1] ومتحف الفن الإسلامي بشارع بورسعيد بالقاهرة ومبنى سوق باب اللوق بميدان باب اللوق وسبيل أم محمد على الصغير برمسيس وسبيل وقف الحرمين بخان جعفر من منطقة خان الخليلى ومن خلال هذه المباني ترى أن المعمار حرص كل الحرص على الطابع الإسلامي الأصيل إلى حد جعله يضع كتل معمارية كاملة ضمن كيان هذه المنشآت مثل عنصر السبيل الذي وضعه في زاوية الواجهة الرئيسية لمحطة مصر واستغله من أعلى لوضع ساعة كبيرة ، أيضا استخدم كافة مقومات الطراز الإسلامي التي تجعلنا نحكم على المبنى مباشرة أنه مشيد على الطراز الإسلامي ونجده في متحف الفن الإسلامي يقلد طريقة المشهر الإسلامية عن طريق التلوين بالدهانات الحديثة إلى غير ذلك.

[1] تم تشييد محطة مصر الأولى بين عام 1855 و 1856 وذلك في أعقاب مد الخط الحديدي بين الأسكندرية والقاهرة وقد وضع تصميمها واشرف على بنائها المهندس البريطاني "أدوين بانس" الذي إختاره "روبرت ستفنسن" وكانت مبني بسيط من الحجر له واجهه كلاسيكية وسقف ومظلة خشبيان ولقد نسفت هذه المحطة عقب الاحتلال الانجليزي لمصر عام 1882 وفي عام 1891 بدء في إنشاء محطة مصر الثانية على نفس الموقع وافتتحت عام 1893 وفيها يظهر مدى الانفصال التام بين العمارة والإنشاء فبينما صممت مباني المحطة ومداخلها وواجهاتها على الطراز الإسلامي وتمسك المعماري باستخدام البناء بالحجر والكرانيش والزخارف الإسلامية نجد في نفس الوقت الإنشائي يطبق في صالة المحطة والقطارات أحدث ما وصل إليه علمه وخبرته في الإنشاء بالحديد ويركز على الغرض من الصالة مما يوضح مدى التباين الشديد بين الواجهة الأمامية الحجرية الثقيلة وبين الصالة الخلفية المعدنية التي امتازت بالجراة والخفة في الإنشاء والبراعة في التصميم ولقد قامت شركة "ديدية" الفرنسية بتصميم صالة المحطة التي اشتملت على هياكل بلغ بحر الهيكل الحديدي حوالى 45 متر المرجع : نفسه ص 105.

ثانياً: الطراز الرومي:[1].

وأول من أدخل المباني الرومية للديار المصرية هو محمد على باشا فأحضر معلمين من الروم فبنوا له سراية ا لقلعة وسراية شبرا [2] ولقد بدأت العمارة في عهده خاصة العمارة السكنية تتجه نحو تقليد الطرز الأوربية فكان لاستعانته بمعماريين وعمال أجانب أن ظهر طراز جديد في العمارة لم يسبق وجوده.ولقد ارتبطت محاولات إحياء الطراز الإسلامي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بظهور إتجاهات فكرية دعت لإحياء التراث المحلي المتمثل في الحضارة الإسلامية ومن ثم ظهرت مصطلحات جديدة لهذا الفن الإسلامي مثل "طراز عصر النهضة الإسلامي" أو الطراز الإسلامي المستحدث.والملاحظ في سائر المباني التي شيدت وفق هذا الطراز واستخدمت عناصره أنها كانت كلها عبارة عن مظهر خارجي للمباني لتكوين قشرة خارجية للمباني الحديثة دون أن تمس الجوهر التصميمي من الداخل الذي ارتبط بشكل أساسي بمبادئ التصميم الغربية كالتماثل والانفتاح على الخارج وكان من أهم المعماريين الأجانب الذين استوحوا اشكال العمارة الإسلامية في أعمالهم المعمارية المعماري الألماني كارل فون ريبتش والمعماريين النمساويان والمجريان "يوليوس فرانس" باشا و "ماكس هيرتز" باشا والمعماريون الفرنسيون "أمبرواز بوددى" و "جومابرد" و "جورون" والمعماريون الإيطاليون "كيرو بانتيناللى" و "الفونسو مانسكا" و "أنطنيو لاشياك" [3]

---

[1] على مبارك. الخطط التوفيقية الجديدة ج 1 ص 210.

[2] شيدت سنة 1808 ثم أعيد بناؤها عام 1823 ولم يبق منها الآن سوى كشك الفسقية.

[3] محمد عبدالحفيظ – دور الجاليات الاجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ص 159. رسالة دكتوراه. كلية الآثار. جامعة القاهرة 2000.

ويعتبر ضريح سليمان باشا الفرنساوى بمصر القديمة والذي وضع أساسه وتصميمه المعماري كارل فون ديبتش أوضح الأمثلة لهذا الاتجاه حيث وضع تصميمه على نمط الأكشاك المغربية بينما استمد بعض العناصر المعمارية من العمارة المحلية في مصر مثل القبة المرتفعة ذات النوافذ وشريط الكتابات القرآنية المحيط بالرقبة والبائكة ذات العقد الثلاثي في حين نجد المعماري يفضل العناصر الزخرفية المستمدة من الطراز المغربي والأندلسي وذلك في أشكال الصرر والمحاريب كما استخدم هذا المعماري أيضًا العناصر الإسلامية الأندلسية المستمدة من زخارف قصور الحمراء في البوائك الحديدية التي تتقدم واجهات مبنى قصر السلاملك بقصر الجزيرة والتي تذكر بالبوائك المحيطة ببهو السباع بقصر الحمراء. ويعتبر فرانس باشا من المغرمين بالطراز الإسلامي خاصة الأندلسي ويتضح لنا ذلك في تصميمه لمسرح الأزبكية العمومي حيث استخدم فيه أشكال العقود على هيئة حدوة فرس والأعمدة الحلزونية والمصبوبات الجصية تلك العناصر التي ظهرت ايضًا في قصر الجزيرة (قسم من فندق ماريوت) حاليًا. كما ينسب إلى هيرتز باشا أيضًا عديد من الأعمال التي كانت مستوحاه من الطراز الإسلامي ومنها فيلا زغيب ا لتي كانت بشارع قصر النيل والمنشأة سنة 1898 حيث إحتوت على العناصر التقليدية للمنزل الإسلامي [1]. يعتبر المعماري إمبرواز بوددى من أهم المعماريين الأجانب الذين طبقوا الطراز الإسلامي في أعمالهم المعمارية وقد كان لعمله في لجنة حفظ الآثار

[1] المرجع نفسه ص 159.

العربية أثر في صقل هذا الاتجاه ومن الأعمال التي قام بها منزل البارون دجليون بالشواربي وفيلا الكونت سان موريس ثم منزله الخاص وكلها بحي الإسماعيلية وتظهر في أعماله جميع العناصر الإسلامية المنقولة عن العمارة المملوكية والعثمانية [1]. كما اتجه المعماريون الإيطاليون كيرو بانتينللي ومانسكالكوبك ولاشياك للمزج بين العناصر المعمارية والزخرفية الإسلامية والعناصر الأوربية ونفس الأمر ينطبق على المعماري مانيسكالكو عند بنائه لمبني متحف الفن الإسلامي ومبني الكتبخانة بباب الخلق أما المعماري لاشياك فإن أعماله المستوحاه من العمارة الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر تعتبر مميزة وتعتبر محطة مصر الثانية من أبرزها كما أنه اشترك في بناء فيلا زغيب وقد زاد هذا الاستخدام للطراز الإسلامي في أعماله التي ترجع إلى بدايات القرن العشرين مثل سلاملك عمر سلطان بباب اللوق الذي أنشئ سنة 1907 وقصر الأمير يوسف كمال بالمطرية سنة 1920 [2] وقد دخلت بعض عناصر الطراز الإسلامي جنبًا إلى جنب مع عناصر أوربية وذلك ضمن منشآت شيدت على حسب أحد الطرازين ومن ذلك مثلاً فندق إيدن بالاس الذي شوهد فيه أشكال المداور والجفوت اللاعبة الإسلامية بجانب بعض التأثيرات الأوربية الواضحة كما استخدم أيضًا الطراز الإسلامي في زخرفة جدران قاعة الطعام وشرفة الطابق الرابع وخوذة قبة البرج الرئيسي وبعض الأعمال الخشبية بقصر السكاكيني وقد تميز الطراز الرومي بمصر بأنه يجمع بين طابع الإنشاء في جنوب اليونان

[1] المرجع نفسه ص 162.

[2] المرجع نفسه ص 162.

وبين الطابع التركي للمساكن فنجد استخدام الهيكل الخشبي المكسو بالجص أو البياض والأسقف الجمالونية المكسوة بالقرميد والشبابيك المستطيلة الحديثة أو ذات الاستدارة أو البيضية والمصاريع الزجاجية بدلاً من المشربيات المخروطة والأسطح الخارجية المستوية الخالية من الزخارف العربية[2] بالإضافة إلى استعمال زخارف الروكوكو[3] في الدواخل والتي شاعت في تركيا في القرن التاسع عشر وإن الناظر إلى الطراز الرومي بدقة ليستطيع أن يلمح فيه كثير من التأثيرات الإسلامية التي خرجت عن اشكالها التقليدية خاصة فيما يتعلق بالوحدات الزخرفية النباتية والكتابية والهندسية وكذلك طرق التذهيب والتلوين وكذلك مواد البناء الحجرية والخشبية والآجرية وكذلك الوحدات الإسلامية المتمثلة في المداخل والدرابيزينات والغرف الداخلية وطرق التسقيف ذات الأصول الإسلامية كل هذا إلى جانب المؤثرات الأوربية التي اقتبسها الفنان والمعماري التركي من أوربا وصبغها بالطابع الإسلامي وإن من ينظر إلى مدرسة محمد على باشا بالقلعة وسبيله بالعقادين وسبيله بالنحاسين والضربخانة بالقلعة وسبيل حسن اغا ارزنكان ومتحف الركائب وسبيل أم أحمد باشا رفعت وسبيل أم عباس – وكلها من عمائر المنفعة العامة بالقاهرة المبنية على ا لطراز الرومي – ليجد فيها ما ذكرت من الخلط بين الطراز الأوربي والتركي والإسلامي في ذات الفترة وهذا هو السمة الرئيسية التي ميزت الطراز الرومي.

---

[1] حيث ولد محمد على باشا في قرية صغيرة تسمى قوله جنوب شبه الجزيرة اليونانية.

[2] J.L. Abu. Lughod. Cairo. 1001 Years of the city victorious (Princeton New Jersey: Princeton Uniersity Press 1971, pp. 93- 94.

[3] طراز معماري ظهر في أوربا في القرن السابع عشر ودخل إلى تركيا على أيدي فنانيين أجانب من جنوب أيطاليا ومن صقلية ولقد هذبه الفنان التركي حسب الذوق المحلى والتقاليد الدينية.

ثالثاً: الطراز اليوناني المستحدث:

اتجهت العمارة في مصر في القرن التاسع عشر نحو التقليد والنقل من الطرز الأوربية المختلفة باعتبار أستعمال تلك الأشكال مظهرًا من مظاهر مجاراة مدنية وحضارة أوربا فأصبحت ا لعمارة بالتالي تفاصيل مأخوذة من ا لطرز الأوربية المختلفة يختارها المعماري تبعاً لهواة أو تحقيقاً لرغبة المالك ولقد تسبب ذلك في تواجد عدد كبير ومتنوع من الطرز الأوربية في مصر ظهرت كلها في وقت واحد فلم تكن هناك فترات تتميز باتجاه معين للمقلدين نحو استخدام الطرز كما حدث في أوربا في القرن الثامن عشر[1] بل وجدناها كلها في نفس الوقت بل وطغى استعمالها على الطراز المحلي (الإسلامي) وقد كان الطراز اليوناني المستحدث هو أحد هذه الطرز الأوربية ولأسباب تجارية وجغرافية وتاريخية كان الهلينيون هم أكثر الشعوب الأوربية اتصالاً بمصر وفي القرن التاسع عشر بدأت مصر تشد أنظار الأجانب نحوها نتيجة لانفتاحها على أوربا فجاءت العائلات اليونانية واقامت بالاسكندرية (لعلاقتها المعروفة بالعصر الأغريقي) [2] وأخذت مركزًا خاصًا بين الجاليات الأوربية الأخرى واستخدمت طرازها المعماري الخاص[3] الذي شاع في الأسكندرية وانتشر منها الى مدن مصر الأخرى وقد تميز الطراز اليوناني ا لمستحدث بالعمارة الحجرية أو الرخامية وهو الشئ الذي

[1] ظهرت في أوربا فترات بأحياء ومناصرة استعمال طراز معين فوجدنا أحياء الطراز الأغريقي مثلاً منذ منتصف القرن الثامن عشر رمزًا لعصر الفكر والحرية ومع بداية القرن التاسع عشر أخذ الأدباء والشعراء يذكرون الناس بالعصور الوسطى عصور الفروسية والشهامة والمروءة فكان أحياء واستعمال الطراز القومي . المرجع: د. عرفات سامى: نظريات العمارة ص 232.

[2] بلغ عدد اليونانيين في الأسكندرية عام 1878 ما يعادل تقريبًا نصف عدد الأجانب بالمدينة كلها.

[3] استخدم الطراز الأغريقي في أوربا منذ منتصف القرن الثامن عشر وذلك لتجنب حالة التدهور التي وصلت إليها العمارة الأوربية في ذلك الوقت نتيجة استعمال طرازي الباروك والروكوكو وساعد على هذا أيضًا الاهتمام الشديد بعلم الآثار والمشاكل الجمالية التجريدية للأشكال.

اكسبها القوة والبقاء ايضًا استعانته ببعض المؤثرات الفرعونية والفارسية والقديمة خاصة في الموضوعات الزخرفية التي تجسد قصصًا دينيًا أو أسطوريًا أيضًا تميز الطراز اليوناني بالجمالونات الضخمة وبالأعمدة ذات الطراز الأيوني كل هذه المميزات إضافة إلى بعض مميزات محلية أخرى (مصرية) وكذلك أوربية ظهرت بشكل كبير في كل من مستشفي بابا يانّو بالدقي[1] . والمستشفي اليوناني بالعباسية[2] وبورصة الأوراق المصرية[3] بشارع الشريفين كأحد ثلاث عمائر خاصة بالنفع العام حملت إلى حد كبير سمات ومميزات ا لطراز اليوناني المستحدث .

رابعاً: طراز عصر النهضة المستحدث:

يمتد عصر النهضة من سنة 1300 وحتى سنة 1550م وهو ذلك العصر الذي تحول فيه الفنان من دور الرمزية الميتافيزيقية إلى تصور العالم التجريبي و قد كان العنصر الأساسي في فهم معظم فناني عصر النهضة لمضون الفن هو الاتجاه إلى مبدأ التجانس والبساطة والتأكيد على الطابع العقلاني[4] هذا وقد عم طراز عصر النهضة المستحدث سائر المدن الأوربية حيث أنه أصبح تيارًا سائدًا فوجدناه يظهر في فرنسا وانجلترا وإيطاليا وألمانيا وغيرها من المدن الأوربية[5] التي كان لكل واحد منهم تراثها المحلي الذى امتزج مع السمات العامة لفن النهضة وكون اشكالاً جديدة مستقلة تجمع بين سمات فن النهضة

[1] شغلت المبني مستشفي النقابات المهنية ثم ضم حاليًا إلى مستشفي 6 أكتوبر.

[2] ويرجع إلى سنة 1911.

[3] ويرجع إلى سنة 1928.

[4] د. محمد محسن عطية. جذور الفن ص 103.

[5] ويبدأ عصر النهضة المبكر في فلورنس منذ سنة 1400 وحتى سنة 1450 وذلك بتحررها من سيطرة الفن البيزنطي والفن القوط .

وسمات كل مدينة من هذه المدن المحلية فأصبح لكل مدينة منها طراز مستقل بها هذا ويعتبر طراز عصر النهضة المستحدث بأفرعه[1] من أنسب الطرز الأوربية المستحدثة التي توافق مباني المنافع العامة وذلك على وجه العموم ذلك أن هذا الطراز وأفرعه يتميز اسلوبها بالمرونة وإمكان التكيف لموائمة تصميم هذه النوعية من المباني الخاصة بالنفع العام وتحقيق أغراضها[2] بعكس الطراز الأغريقي أو الروماني المقيدين بشكل خاص لقوانين محددة ونسب صارمة يصعب التحرك من خلالها من أجل التغيير.

ومن خلال ما وجدنا من عمائر المنافع العامة بالقاهرة في القرن التاسع عشر وجدنا أنه ظهر عليها ثلاث أنماط مختلفة من طراز عصر النهضة وهي

أ- طراز عصر النهضة الإيطالي المستحدث:

وقد امتد عصر النهضة الإيطالي بوسط وشمال إيطاليا من سنة 1450 وحتى سنة م1500م وكان النشاط الفنى قد انتشر في كل من البندقية ونابولي وميلانو وفيرار وسافوى إضافة إلى فلرونس التي لم تقتصر زعامة فن النهضة عليها فحسب وقد كان برونيلسكى البرتي من فناني عصر النهضة البارزين ويعتبر قصر عائلة روتشيلاني[3] من أجمل نماذج فن النهضة الإيطالي أيضاً يعتبر دوناتلو من أشهر فناني عصر النهضة الذى حاول الوصول إلى الفخامة في معظم منشأته مثل مصلى

[1] نقصر الحديث فقط على طراز عصر النهضة الإيطالي المستحدث والإنجليزى المستحدث والفرنسي والمستحدث.

[2] وقد أتاح له ذلك كثرة الفنون القديمة التي جمع بينها وبالتالي أصبح يستغل كل مقومات هذه الفنون من أجل التحرر من القوالب الجامدة التي قد لا يستطيع فن واحد أن يتحرر منها كالفن الروماني مثلاً أو الأغريقي.

[3] د. نعمت اسماعيل علام. فنون الغرب في العصور الوسطي. ص 60 القاهرة 1983.

القديس بطرس في مونتريو وقد أعاد بناء كنيسة القديس بطرس التي جمع فيها بين تصميم معبد البانتينون وتصميم بازيلكا قسطنطين[1] حيث اعتمد التخطيط على شكل الصليب الأغريقي كما أستخدم ايضاً عنصر القباب ولقد ساعد على كثرة استخدام هذا الطراز في مصر في القرن التاسع عشر وجود جالية إيطالية كبيرة بها كما ساعد على ذلك ايضًا وجود العديد من المعماريين ومقاولي البناء الإيطاليين في مصر أمثال السنيور "متاتيا" و "بترافوسكاني" و "سكالا" و "مانشينى" وغيرهم من الذين مارسو العمارة بطابعهم وبطرزهم الخاصة. وقد ظهر طراز عصر النهضة المستحدث في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر وانتقل إلى مصر بشكل سريع ليظهر في مجموعة مهمة من العمائر ذات النفع العام وهي مبني محكمة الاستئناف الوطنية[2] بشارع بورسعيد بالقاهرة وبنك روما بشارع المناخ (عبدالخالق ثروت حاليًا) ومبني دار الأوبرا الخديوية[3] وفندق نيو أوتيل (الكونتنتال حالياً) بميدان التياترو (الأوبرا حاليا) ومبنى الجمعية الملكية للاقتصاد والتشريع السياسي بشارع رمسيس والمنشأة سنة 1927 ومبنى بنك ناصر الاجتماعي (حالياً) بشارع قصر النيل. ويلاحظ في كل من مبني بنك روما ومبني محكمة الاستئناف ومبنى دار الأوبرا الخديوية القديمة وكذلك مبني الجمعية الملكية انهم مشيدون على طراز مباني

[1] المرجع نفسه ص 90.

[2] تقع بمنطقة باب الخلق وانشات سنة 1893.

[3] صممها المعماري الايطالي "سكالا" الذي وضع تصميمات أكثر دور الاوبرا في أوربا في القرن التاسع عشر ونفذها المعماري "بترافوسكاني" وشرع في بنائها في نوفمبر عام 1867 وافتتحت في 4 يناير سنة 1869 ولم يكن شكلها قد اكتمل بعد حيث اضيف إليها جزء خلفي عام 1874 اشتمل على غرف الإدارة والفنانيين ومخازن المناظر والملابس وقد بني هيكلها من الخشب وجذوع النخل أما قوائمها فكانت من الحديد وقد احترقت في 29 أكتوبر سنة 1971.

مدينة (Rome) أما فندق الكونتنينتال فهو مشيد على طراز مباني مدينة (Florence) ومن خلال مجموعة هذه المباني يمكننا أن نستجلي بعض سمات طراز عصر النهضة الإيطالي المستحدث التي تمثلت في استخدام المساحات المستطيلة بقدر المستطاع والتي تتناسب مع طبيعة المنشآت ، أيضًا تقسيم الواجهات لعدة مستويات افقية عن طريق الكرانيش واستخدام البلكونات الصغيرة البارزة المرتكزة على كوابيل صماء وكذلك استخدم النوافذ المستطيلة، ذات الجبهات المثلثة أو النصف دائرية وكذلك استخدام الدرابزينات الحجرية داخل المباني وخارجها علو الواجهات وظاهرة وجود بعض الحلايا ا لزخرفية داخل المباني والتي تشبه البانوهات الصماء.

ب- عصر النهضة الفرنسي المستحدث:

لقد كان النمط القوطي هو السائد في فرنسا قبل دخول تأثيرات فن النهضة إليها عن طريق أيطاليا التي لعب فنانوها دورًا كبيرًا في نقل هذه التأثيرات لفرنسا حين دعاهم حكامها للعمل بها وبذلك ظهر فن النهضة في فرنسا منذ عهد فرانسوا الأول والملاحظ في ذلك هو زيادة النشاط في عمارة قصور الملوك والأمراء[1] واحتفظت هذه المنشآت ببعض التقاليد القوطية إلى جانب طراز عصر النهضة الوافد وبدأ ظهور الأسلوب الزخرفي للواجهات[2] وكان هذا الطراز قد انتقل إلى مصر ضمن ما انتقل اليها من طرز وتميزت مباني المنافع العامة التي شيدت بالقاهرة في القرن التاسع عشر على غرار هذا الطراز بالأسطح المستوية

[1] عنايات المهدى . فن الزخرفة ص 25 القاهرة 1993.

[2] د. عفيف البهنسى. العمارة عبر العصور ص 207.

الخالية من التفاصيل كما اتصفت بالرزانة والتقشف فشابهت بذلك أعمال رجال الحركة الكلاسيكية الرومانسكية التي تميزت ايضا بقلة الزخرف واستعمال الأشكال الهندسية الواضحة وتقليد الحلايا الباروكية ويعتبر مبنى الجمعية الجغرافية[1] والمستشفي الفرنسي[2] و البنك العقاري المصري[3] ونادى محمد على[4] الذي يرجع لعام 1906 ويشغله الآن النادي السياسي شواهد لطراز عصر النهضة الفرنسي المستحدث وذلك من حيث تعدد طوابق المبني وبساطة الواجهات واستخدام الأبراج المحورية في بعض الأحيان واستخدام الأقبية والقباب ودخول الأشغال المعدنية بشكل كبير أيضًا استخدام بعض الزخارف القوطية الطراز كعناقيد العنب والأشكال الكمثرية التي تشبه الخرشوفة وفتحات النوافذ المتسعة الممتدة من سفل الجدران حتى علو الطابق هذا بالإضافة إلى استخدام بعض مميزات الطرز الأوربية الأخرى التي من المؤكد أن الفنان كان يقتبسها بشكل ارتجالي ليس لكونها منتمية لطراز معين أو لمدينة معينة بقدر كونها تحلو لمزاجه الفني أن يضعها داخل طراز قد تكون عناصره مختلفة تمامًا من عناصر هذا الطراز .

[1] بحديقة وزارة الاشغال بالقاهرة وترجع لسنة 1875.

[2] مندثرة مكانة الآن مستشفي القوات الجوية بشارع أحمد سعيد العباسية.

[3] عقار رقم 35 شارع محمد فريد وشارع عبدالخالق ثروت (المناخ سابقًا).

[4] ناصية شارع البستان وشارع طلعت حرب (سلمان باشا سابقًا).

ج- طراز عصر ا لنهضة الانجليزي المستحدث:

ظهر أيضًا طراز عصر النهضة في مدن إنجلترا وكان قد امتزج إلى حد كبير بالعديد من المؤثرات الإنجليزية حيث أنه كان سائداً في إنجلترا في هذه الفترة أسلوبان في هذه الفترة اسلوبان في بناء العمارة الأسلوب الأول هو التيودورى الإيطالي القوطي ويقوم هذا الاسلوب على اساس التناظر والكلاسيكية والاهتمام بالأبواب والإفادة من الآجر[1] ومن أروع أ مثلته منزل سمرسنت وقصر، رينجتون أما الأسلوب الثاني فهو الأليرابيثي وهو فرنسي ألماني ومن أروع أمثلته قصر لونجليت ويقوم في أساسه أيضًا على مبدأ التناظر الدقيق[2] والملاحظ في طراز عصر النهضة الانجليزي المستحدث أنه لم ينتشر إلا عقب الإحتلال البريطاني لمصر سنة 1882 وسوف يزداد الإقبال عليه فيما بعد ومن أروع الأمثلة التي شهدت هذا الطراز في مصر مبنى القنصلية البريطانية[3] وفندق سافوى بميدان طلعت حرب ومصلحة الشهر العقارى بشارع (الملكة) رمسيس حاليًا ويرجعت تاريخ إنشاءه إلى سنة 1924 ومبنى سراى البوستة العمومية بميدان العتبة ومبنى مخازن عمر أفندى بشارع عبدالعزيز ومن خلال مجموعة هذه المبانى يمكننا استخلاص بعض السمات المميزة لطراز عصر النهضة الانجليزي المستحدث في مباني المنافع العامة بالقاهرة حيث أن معظم هذه المباني تضم عناصر امنية داخلية مزودة بحدائق وفساقي للمبانى أيضًا تتميز بدخول المواد المعدنية في أنشائها

[1] د. نعمت اسماعيل علام. المرجع نفسه. ص 145

[2] د. عفيف البهنسى . المرجع نفسه. ص 207.

[3] مندثرة وكانت قائمة بالقرب من حديقة الأزبكية.

وكذلك في زخرفتها وكذلك يظهر فيها عنصر الأبراج المحورية خاصة في مبنى البوستة ومبنى عمر أفندى ومبنى فندق سافوى كذلك يظهر فيها عنصر القباب . وبالإضافة إلى ذلك فقد جمعت هذه المبانى بين عناصر الأعمدة الدورية والأيونية والكورنية وشوهدت ببعض مبانيها عناصر الفرنتونات الكبيرة التي تحلى الواجهات والأخرى الصغيرة التي تحلى فتحات النوافذ والشبابيك من أعلى. أيضاً ظهر فيها عنصر البلوكنات.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى استخدام بعض الوحدات الزخرفية ذات الطراز الأغريقي أمثلة تلك الرسوم الموجودة على واجهات مبني عمر أفندي بشارع عبدالعزيز كذلك تظهر عملية تقسيم الواجهات إلى أقسام افقية وذلك بواسطة استخدام الكرانيش الزخرفية[1] كما يبدو في منشآت المنافع العامة المشيدة وفق هذا الطراز.

[1] د. عفيف البهنسى: المرجع نفسه. ص 78.

خامساً: الطراز الروماني المستحدث[1] :

استحدثت أوربا في القرن الثامن والتاسع عشر الطراز الروماني وأنماطه ضمن ما استحدثت من باقي الطرز المعمارية الكلاسيكية وقد كان الطراز الروماني من أضخم هذه الطرز بعد الطرز ا لأغريقي إذ تجدر الإشارة لأنه قبل انتقال مقر الإمبراطورية الرومانية من روما إلى بيزنطه في بداية القرن الرابع لوحظ أن جميع الفنون تبدو في حالة من الفخامة والثراء ومن المحقق أن روما قد أعطت طرازها الفني المميز إلى العديد من المستعمرات الأجنبية الممتدة تحت سيطرتها[2] ويتميز الفن الروماني بالتماثيل المحفورة والمجسمة كما يتميز بالرموز المحفورة المتشابكة والأشكال الهندسية والاشرطة الزخرفية من الأوراق والمراوح التخيلية وزهر الانتيمون والأشكال الحلزونية واستخدام الرخام بسخاء في تكسيه الجدران وتحلية الواجهات واستخدام الفصوص المعمارية المدمجة والفسيفساء وقد تأثرت الأمة العربية الإسلامية كثراً بالطراز الرومانى خاصة النمط البيزنطي منه الذي أثرى الحضارة الإسلامية بعديد من العناصر التي طورها الفنان المسلم.

[1] يرجع تاريخ العصر الرومانى الى سنة 753 ق.م حين كانت عشائر الأتروبين تقطن ما بين نهرى الأرنو والتيبر عند الساحل الغربي لإيطاليا وقد وصلت إلى ذروة المجد فكان لها شان عظيم في ترقية الفن الروماني وقد اشتهر الاتروبين بتشييد الملاهي والمسارح والمدرجات والأسواق وبوابات النصر وقد كان الرومان يقتفون أثر الأغريق في تشييد مبانيهم ومعابدهم وقد كان من تتمه أبهة الرومان وجود دور الاستحمام العظيمة وكانت واسعة تحتوى على أماكن للاستحمام بالماء والبخار وتقسم لثلاثة أقسام الحار والفاتر والبارد وهي مجهزة بصالة للمحاضرات وأخرى للمكتبة وأخرى للعب الرياضية ومن أشهرها حمامات أغريبا وكراكلا وقد اشتهر الرومان ببناء الكباري والنصب التذكارية وكذا القبور للأبطال واقواس النصر وكان الطراز الروماني ذو ثلاث انماط معمارية هي الدوري والكورنثى والبيزنطي المرجع: عفيف البهنسى: المرجع نفسه. ص 98.

[2] عنايات المهدى: المرجع نفسه ص 100.

هذا وقد تجلي أروع نماذجه في أعمال المنافع العامة بالقاهرة في المتحف المصري[1] بميدان التحرير إضافة لنموذج معماري آخر وهو المستشفي الإيطالي بالعباسية[2] ، ومن خلال هذين النموذجين يمكننا استقراء جميع مميزات الطراز الروماني المستحدث إضافة للمؤثرات الإقليمية المحلية التي برزت في اشكال الفصوص البسيطة الجصية وكذلك الوحات التذكارية المكتوبة والنقوش الكتابية وبعض الرسوم الزيتية والتماثيل المجسمة خاصة أعلى واجهة المتحف المصري وكذلك الاشكال الكروية التي تستخدم كحلايا معمارية وزخرفية في ذات الوقت ووجدت منها نماذج أعلى الكنيسة الملحقة بالمستشفي الإيطالي وبأعلى أركان واجهات المتحف الأربعة ايضاً سيادة نوعية معينة من العقود وهي العقود الرومانية (النصف دائرية) وكذلك تقسم الواجهات إلى أقسام رأسية وذلك عن طريق الفصوص والاكتاف الحائطية المدمجة.

[1] يرجع لسنة 1897 – 1902.

[2] يرجع لسنة 1901.

سادساً: طراز المنشآت المعدنية:

ظهرت في أوربا في القرن التاسع عشر عدة منشآت معدنية قام بها بعض المهندسين واستعملوا فيها المواد الإنشائية الجديدة الناتجة عن الثورة الصناعية مثل الحديد والزجاج ولقد كان لنهضة مصر في تلك الفترة وانفتاحها على أوربا أثره في تواجد مثل هذه الأنواع من المنشآت المعدنية والتي أظهرت مدى التباين الشديد بينها وبين الأعمال المعمارية السائدة فيها في هذا الوقت ولقد كان من نتائج التقدم الصناعي في أوربا أن ظهر المجتمع الرأسمالي الأوربي ومع إطراد التقدم في الصناعة وطرق المواصلات ونمو المدن واتساعها نشأت الحاجة إلى مبان ذات نوعيات جديدة ليس لها علاقة بالماضي بغرض خدمة الأعداد الوفيرة من الناس وتداول الكميات الكبيرة من السلع والبضائع وتبعًا لهذا ظهرت في أوربا المصانع ومنشآت السكك الحديدية ومحطاتها والكباري والأسواق ومخازن البضائع والمعارض وغير ذلك وقد كان ذلك هو الدافع نحو استعمال هذه المواد الجديدة في تلك المباني وما يتبعها من منشآت[1] واصبحت جل الاهتمام موجه نحو استخدام الحديد الذي قامت عليه الثورة الصناعية ولقد عهد بهذه المنشآت إلى المهندسين الإنشائيين الذين اقاموها بطريقة تميزت بالضخامة والبراعة والمنطق والحكمة التي هدت إلى تصميمها فلم تكن لهذه الأعمال مقاصد أو أدعاءات معمارية بل أمتازت بالنقاء والبساطة والصراحة وعظمة الفهم والتحقيق العملي له ودقة التصميم والتنفيذ والاستعمال الخلاق للمواد الجديدة التي أنتجتها الصناعة[2] .

[1] د. عرفات سامى: عمارة القرن العشرين ، ج1 ص 39 : 46.

[2] د. عرفات سامى: العمارة في فرنسا، ج3، ص 331.

وبالمثل ايضًا ظهرت في مصر عديد من مظاهر التقدم الصناعي الحديث وانشأت المصانع الحربية ومصانع حلج القطن وكبسة ومصانع الغزل والنسيج ومدت طرق المواصلات والكبارى وخطوط السكك الحديدية وانشأت المدن الجديدة وزاد عدد السكان مما حتم ضرورة إيجاد نوعيات جديدة من المباني الحديثة المعدنية المختلفة من أجل هذا وجدنا في مصر عديد من المنشآت المعدنية اقامتها شركات هندسية أوربية بمساعدة مهندسين مصريين تلقوا تعليمهم الهندسى في مدارس أوربا أو في مدارس الهندسة التي أنشأت بمصر في القرن التاسع عشر.

ولقد اختلفت هذه الأعمال الإنشائية اختلافًا كبيرًا عن كل ما كان مألوفًا في العمارة في مصر في ذلك الوقت فهي قد أقيمت بواسطة ا لإنشائيين لمجرد الفائدة العملية وروعى فيها البساطة والاقتصاد في استعمال المواد ولم يدخل في تصميماتها اعتبارات لمسائل شكلية أو زخرفية كما امتازت بالصراحة والمباشرة والكفاءة والخفة والجرأة في الإنشاء والبراعة في التصميم[1] .

وشهدت مشروعات المنافع العامة بالقاهرة نماذج عديدة من هذه المنشآت المعدنية والتي يأتى على رأسها المظلة الحديدية التي تظل ساحة القطارات بداخل محطة مصر للسكك الحديدية ومن الكباري ايضا كوبري بنها المنشأ سنة 1854 على يد المهندس الإنجلزيى جورج ستيفنسن وكوبرى امبابة المنشأ بين سنتى 1889 وسنة 1892 وهو من أعمال الشركة الفرنسية Dayde et pile وكوبرى قصر النيل

[1] عصام الدين عبدالرؤوف: المرجع نفسه ص 100.

المنشأ بين سنتى 1869 وسنة 1871 وهو من أعمال الشركة الفرنسية Fives Ville والكوبري المعلق بحدائق الأورمان بالجيزة سنة 1869 وهو من أعمال المهندس الفرنسى الكسندر جوستاف إيفيل. وكوبري أبوالعلاء عند مدخل الزمالك بالقاهرة المنشأ بين سنتى 1908 – 1912 وهو من أعمال المهندس الفرنسي الكسندر جوستاف إيفيل وكوبري الجلاء المنشأ سنة 1914.

ومن ضمن المنشآت المعدنية الأسواق والمخازن التجارية كسوق العتبة الخضراء[1] المنشأ سنة 1887 وهو من أعمال إحدى الشركات الفرنسية وسوق باب اللوق ومحلات سمعان صيدناوى بميدان الخازندار بالعتبة 1913[2] وكذلك مخازن عمر أفندى بشارع عبدالعزيز وهي أولي المخازن التى أنشأت في ثمانينات القرن التاسع عشر وهي ذات هيكل داخلي من الحديد وواجهات معمارية خارجية على طراز عصر النهضة المستحدث هذا بالإضافة إلى بعض المنشآت المعدنية الأخرى كبوابة حديقة الأورمان بالجيزة وكشك الموسيقى بحديقة الأزبكية.

[1] مغطى بجملونات حديدية يبلغ بحرها حوالى 10 متر بها فتحات زجاجية للإضاءة وترتكز على حوائط حجرية تقاوم بثقلها الضغط الجانبي لهذه الجمالونات وحوائط السوق الخارجية مقامة بالأحجار وبها عقوده وكرانيش مزخرفة تظهر مدى التباين الشديد بينها وبين اتجاه الانشائي في تغطية المبني واستعماله للمواد وطرق الانشاء الحديثة

[2] يتكون مسقطها في فناء كبير مسقوف بالزجاج وتحيط به وتطل عليه أدوار متكرره على هيئة ممرات محمولة بواسطة أعمدة حديدية فتعكس بذلك مدى تأثيرها بمخازن فرنسا وأما واجهاتها الخارجية فهي من الحجر وعلى طراز عصر النهضة المستحدث ولا تدل على الإنشاء المعدني الداخلي ويلاحظ فيها وجود ابراج مستديرة عند الأركان.